العصمة

بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

شيخ المتألهين

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

تحقيق

صالح أحمد الدباب

مراجعة

مجتبى طاهر إسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد

وعجل فرجهم وفرجنا

العصمة

بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

الأوحد

موقع الأوحد

Awhad.com

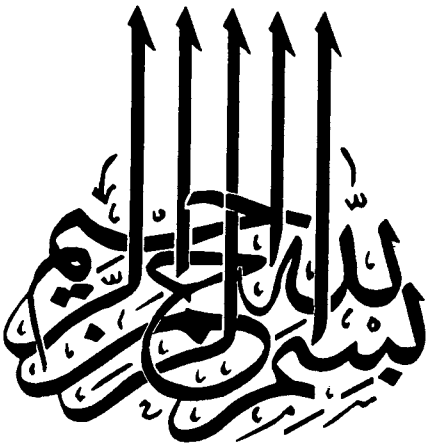
بسم الله الرحمن الرحيم

العصمة

بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

شيخ المتألهين

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

تحقيق

صالح أحمد الدباب

مراجعة

مجتبى طاهر السماعيل

كتاب العصمة

المؤلف ..... الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمده

المحقق ..... صالح أحمد الدّباب

الناشر..... مؤسسة فكر الأوحد تغمده

مكان الطباعة ..... بيروت لبنان

عنوان المحقق في سوريا ..... دمشق السيدة زينب عليها السلام

صندوق البريد (213)

يمكنكم مراسلتنا على البريد الإلكتروني :

saleh@FikrALawhad.net

تابعوا موقعنا: *www.FikrALawhad.net.*

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى 1424هـ 2003م

إهداء

أهدي ثواب هذا
العمل المتواضع إلى شفاعتي
يوم القيامة ..
محمد رسول الله ..
علي أمير المؤمنين ..
فاطمة الزهراء ..
الحسن الزكي ..
الحسين الشهيد ..
التسعة المعصومين ..
راجياً منهم القبول والتوفيق
والشفاعة .

سماحة آية الله العظمى خادم الشريعة الغراء

المولى ميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي (دام ظله)

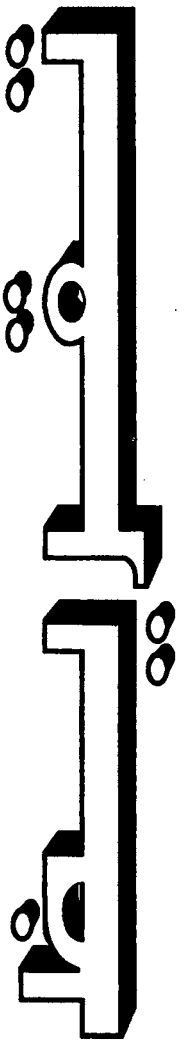

حوزة النورين النيرين - الكويت

مكتب المرجع الديني خادم الشريعة الغراء

الحاج الميرزا عبدالرسول الحائري الأحقاقي

المنصورية - قطعة ٢ - شارع ٢٩ - منزل ١٥

تلفون: ٢٥١٦٦٦٩ - فاكس: ٢٥٢٢٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

وبعد أشرفت على تحقيق ومراجعة للفاضلين صالح أحمد الدباب ومجتبى طاهر السماك للرسالة المباركة (العصمة) من رسائل شيخنا الأكبر والمحدث الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رضوان الله عليه ووجدتهما من الدرجة العالية من المراجعة والتحقيق مجزاهما الله خير الجزاء وجعلنا وإياهما من المتمسكين لتراث أهل البيت عليهم السلام العلماء العاملين وأيام المعاندين لهم والمنكرين لفضائلهم وأنا أحثهم لإكمالهم بقدر الوسع والطاقة والحمد لله رب العالمين

ميرزا عبدالرسول الحائري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

من يقرأ آيـــات الباري ﷻ لأوَّل مرَّة في القرآن الكريم، قـــد يتفاجأ بمثل قوله تعـــالى في حق النبي آدم عليه السلام : ﴿وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[1]، وفي حق النبي داوود عليه السلام بقوله : ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾[2]، وفي النبي يوسف عليه السلام : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾[3]، وكذلـــك في حق أعظم أنبيائه صلى الله عليه وآله بقوله : ﴿لِّيَغْفِرَ لَـــكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4]، وأمثال هذه الآيـــات في غيرهم من الأنبياء عليهم السلام .

فقد تتزاحم الأسئلة في ذهن قارئها ..

فهل أنَّ أولائك الأنبياء العظام الذين اصطفاهم الله لهـــذه المهمة الخطيرة تقع منهم الذنوب والمعاصي، كما هو الحال عند سائر الناس ؟!

وإذا كـــان كذلك، فكيف سيتَّخذُهم الناس قدوة وأســـوة، كما أمرهم تعالى بقوله : ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

(١) سورة طه، الآية : ١٢١ .

(٢) سورة ص، الآيتان : ٢٤-٢٥ .

(٣) سورة يوسف، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة الفتح، الآية : ٢ .

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1] ؟!، بـــل قبل كل ذلك ما الذي يميز هؤلاء عن غيرهم من الناس ؟!، وما هو الفرق بينهم وبين غيرهم ممَّن ادعى النبوة كمسيلمة وسجاح وغيرهما ؟!، وفي نهاية المطاف؛ هل سيُصَدِّق الناس أنبياءً من هذا الطِّراز ؟

تخبَّط الكثير من الأعلام وتفرَّقت آراء المذاهب الإسلامية إلى أقوالٍ شتى في الإجابة على تلك التساؤلات، فمنهم من جوَّز صدور تلك المعاصي قبل البعثة، ومنهم من تملَّص بأنها صغائر وهم معصومون من الكبائر، وقسم آخر اقتصر على القول بعصمتهم فيما يبلِّغونه فقط دون غيره ... وهكذا .

ولكن ..كل تلك الإجابات لا تصمد أمام غِرْبال التحقيق الدقيق، بل ولا يستسيغها عقل كلّ ذي لبٍّ سليم .

من خلال هذا الإصدار تُقدِّم مؤسسة فكر الأوحد قدس سره أجوبة شافية عن كل ما يُثار من تساؤلات حول مقام العصمة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وسيحصل الباحث على الحقيقة الناصعة المستقاة من الينابيع الصافية، التي أمرنا الله الارتواء منها، بعد تتبعه لجميع تفصيلات هذا البحث العلمي المنهجي المميَّز، وذلك ليس جديداً على مؤلفه الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره، وهو صاحب السباحة الطويلة في مآثر أهل بيت النبوة عليهم السلام .

وفي الختام نقدِّم شكرنا الجزيل لكلّ من ساهم في إنجاح هذا العمل، ونخص بالذكر فضيلة الشيخ صالح الدباب محققاً، وفضيلة الشيخ مجتبى السماعيل مطابقاً ومراجعاً، ونأمل من الجليل جلّ علاه التوفيق لنا ولهم بحق محمدٍ وآله الطاهرين .

مؤسسة فكر الأوحد قدس سره

غُرَّة ربيع الثاني ١٤٢٤هـ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٢١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل أنبياءه حجة على العالمين، وعقّبهم بالأوصياء تكميلاً للدين المبين، واللعن الدائم على أعدائهم ومنكريهم من الآن إلى قيام يوم الدين .

إنّ الله ﷻ امتحن الإنسان في هذه الدنيا الزائلة بأنواع الفتن والبلايا، ومن جهة أخرى أكرمه وتفضل عليه بنعم لا تكاد تعد ولا تحصى، لأن الله سبحانه خلقه ووهب له العقل، الذي به يثاب وبه يعاقب، كما قال رسول الله ﷺ : (...إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ وَقَالَ لَهُ أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَعْظَمَ مِنْكَ، وَلَا أَطْوَعَ مِنْكَ، بِكَ أُبْدِئُ وَبِكَ أُعِيدُ، لَكَ الثَّوَابُ وَعَلَيْكَ الْعِقَابُ)[1]، لأنه أعده لأسمى وأرقى المراتب والوظائف، بأن يتلقى العهد من ربه ﷻ، ويعرف نعمه ويشكره عليها .

وحيث أنّ معرفته متوقفة على الصلة بينه وبين ربه اتجه البحث بأن يجعل الله سبحانه وتعالى رسلاً ووسائط بينه وبين عبده، ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ

(١) مستدرك الوسائل، ج١، ص٨٣، ح٣ .

لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[1] لأنه لا سبيل للإنسان إلى معرفة الله من قبل نفسه، ولا الوصول إليه بعقله، لأنها أمور خارجة عن حسِّه، وعالية عن متناول تفكيره وذهنه، وبما أنَّ الله سبحانه أرسل هذه الوسائط من أجل أن يخرجو هذا الإنسان المسكين من ظلمة ذلك الليل الدامس، إلى نور ذلك النهار المشرق، لأن الشيطان اللعين قد أعلن حربه وكرهه وخصومته لهذا الإنسان، إذ قال : ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الأَنْعامِ﴾[2] . وقال أيضاً : ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[3] .

فهذا العدو اللدود الذي يتوعد الإنسان لا يمكن إزالته إلّا بالتمسك بتلك الوسائط، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأفعالهم وأخلاقهم توزن الأفعال والأقوال والأخلاق، فبالتمسك بهم وبأقوالهم وأفعالهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال .

وبعبارة أخرى : ضرورة الاحتياج إليهم أعظم من ضرورة احتياج البدن إلى الروح، وأعظم من ضرورة احتياج العين إلى نورها .

ومما لا شك فيه أنَّ الله ﷻ محال أن يتخذ ويختار رسولاً ووسيطاً لهذا الإنسان تزدريه الأعين، وتحقره القلوب، أو متهماً في نسبه وعرضه، أو مشوهاً في خلقه وجسمه، فكيف يمكن أن يكون مثل هذا قدوة في مكارم الأخلاق، ومن أجل هذا بعث الله سبحانه وتعالى أنبياءه ووسائطه من أوسط قومهم نسباً، وبرأهم من العيوب، وعصمهم عن الخطأ والزلة، وطهرهم عن كل دنس، وأعطاهم

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١١٩ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٦٠ .

الكمال وعلو المنـــزلة، وسمو المقام في التقوى بالدرجة العالية التي تجعلهم أهلاً، لأن يُقتدى بهم في كل شيء .

فالحديث عن عصمة هؤلاء الرسل والوسائط التي أرسلها الله تعالى إلى خلقه من أهم المسائل والبحوث الفكرية والإسلامية التي لعبت دوراً كبيراً في علم الكلام والعقيدة الإسلامية، فمن هنا ألّف وكتب الكثير من العلماء الأجلاء في هذا الموضوع الحساس، فمن هؤلاء العلماء الأعلام شيخنا الأجل أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمّده، كتب بحث مفصل في هذا الموضوع، حيث تعرض فيه إلى صفات من يجب أن يتصف بهذه الصفة، ومتى وكيف، ونفى فيه بالأدلة القطعية شبهات المخالفين .

المنهجية المعتمدة في تحقيق هذه الرسالة

من الأمور التي تعتمد في تحقيق المخطوطات عدة نقاط رئيسية مهمة، وهي ما يلي :

١- النسخة المعتمدة في ضبط نص هذه الرسالة : اعتمدنا على تحقيق هذه المخطوطة وضبط نصها على نسخة واحدة، وهي موجودة ضمن جوامع الكلم، في المجـــلد الأول، والتي كان المصنف قد كتبها استجابة للشاه محمد علي ميرزا الشاه، ومقاس صفحاتها : (١٤،٥سم ×٢٨سم)، وعدد أسطر الصفحة الواحدة : (٣٧سطر)، وعدد صفحاتها : (٢٥صفحة) .

٢- التخريج : ونحن في هذه النقطة خرَّجنا الآيـــات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي نقـــلها المؤلف تغمّده، وتصحيحها وإكمالها من مصادرها الصحيحة .

ومع ما بذلنا من جهد فقد يرى قارئنا العزيز بعض الـــروايات التي لم يتم العثور عليها .

٣- العنونة : لقد عنونّا هذه الرسالة بعناوين مناسبة وجذابة وشيقة، لكي يَسْهُل على القارئ العزيز البحث والاطلاع والمراجعة من خلالها .

٤- التعليق : لا يخفى على القارئ الكريم أننا أدرجنا في حواشي هذه الرسالة بعض التعليقات، لكي من خلالها يفهم القارئ ما يشير إليه المصنف تغمده .

شكر وتقدير : وقبل الختام لا بد لي من أن أُقدم الشكر الجزيل أولاً إلى مرجعنا الكبير خادم الشريعة الغراء آية الله العظمى المولى الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي «دام ظله العالي» على تكرمه علينا بتوجيهه وإشرافه على عملنا هذا .

وثاني شكري : إلى سماحة أخي العزيز الشيخ مجتبى السماعيل «حفظه الله تعالى» على ما قدم لنا من مطابقته لهذا الكتاب .

وآخر شكري : إلى مؤسسة فكر الأوحد للتحقيق والطباعة والنشر على تبنّيها طباعة هذا الكتاب القيم .

وفي الختام الشكر لله ﷻ أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الأطهار .

الراجي عفو ربه

صالـــح أحـــمد الدَّبـــاب

نهاية ربيع الأول ١٤٢٤هجري

الصفحة الأولى

والأنفس والثمرات وبشر الصابرين وليرفع درجات الشاكرين على الرخاء والصابرين على البلاء فان الدنيا سجن المؤمن وجنة ذلك المحزون وكل الانعام في الغلاء والعكس في الرخص فقوله واستبدوها اي بقابل استبدوها الاستعداد بدلة استبابا بقرينة وجودها مثل كثرة الطاعون بها والجدب ومنع الأمطار وخوف الطرق وكثرة قطاع الطريق وامثال ذلك فان بكل ذلك يحالف عبد الله الى نفسه تحقيقا تقع منه اسباب المنع من العاصي ومن ظلم العباد وغير ذلك فان كل ما يكون سببا للغلاء انما هو لاثرة تقصير في حق المعبود وسبب لتقصير لان مقتضى الكرم الرخاء والرخص وانما يكون خلاف ذلك لمقتضى لاجل موانع من تقصير العباد فان قلت ان الغلاء والرخص من الله تعالى جل بحمده فقد استبان ذلك بتقصير الملكفين في الغلاء وبتقصيرهم في الرخص فما سبب ان قلت الغلاء والرخص بسبب اعمال العباد بحسب انه تعالى اعلم بكل ذلك في الغلاء وبما ذنبهم في الرخص فما سبب ان يعاقب الله العباد شكوه على نعائمه وحمده على كرم عوائده والرضى بكل حال بقدره ونقضائه فانه ولي كل خير وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جزيل النعم والآلاء وجميل الأفضال في العطاء وجليل العطف في الكبرياء وصلى الله على محمد وآله الذين خصهم بالعصمة والولاء وتمامهم بأكمل الثناء وجعلهم ملوك الدنيا والآخرة والأولى وصلى الله عليهم ما دامت الأرض والسماء أما بعد فيقول العبد المسكين احمد بن زين الدين الأحسائي ابن حامي حوزة المسلمين وناصر الدين ومن المؤمنين العصر المنجي للسلطنة بتدبيره والركن الأقوى للدولة السنية بتسديده وجليل الافادة ورافد الوفادة وكعبة الكرم ومحل التعظيم والمحترم الشاه بن الشاه بن الشاه محمد علي ميرزا الشاه زاد الله أيام الله تأييده وامداده واشاد دعائم دولته وابدا بالشكر هو وجنوده وحفظ هو واولاده وسدده وسدد له نظام وولى على ما احب واراده واصلح له بما تقر بعينه معاده وختم له والوالديه بالسعادة انه سميع الدعاء لطيف بما يشاء وهو على كل شيء قدير وبالاجابة جدير وصلى الله وسلم قال آمين فانه ذلك صلاح الدنيا والدين هذا مرجعه وداعيه ان يكتب شيئا في بيان العصمة وشؤنها لأهلها عليهم السلام ونفعنا بذلك وعامة المؤمنين فذكر وجعته محمد واصحابه الطاهرين وخواص شيعتهم ومحبيهم واعدائهم وذكر علاماتها واحوالها وذكر ما ورد فيها فاجبته الى ذلك مع قلة البضاعة وكثرة الاصناعة ونسئل الله التوفيق الأعراض وموانع الأمراض بناء على الاتيان بما يحضر من هذه الأمور لأنه من جهة كثرة الموانع هو المقدور وانا لا يسقط الميسور بالمعسور والى الله ترجع الأمور وترتيب بيان كل واحد من المسئلين على مقدمة ونصوص وغاية نقرب بها للوصول الى المحصول مقدمة قيل العصمة اللطف المانع ومنه قوله تعالى والله يعصمك من الناس اي يمنعك منهم فلا يقدرون عليك وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله اي تمسكوا بالله بطاعته وحبل الله هو القرآن وقيل بعهد الله وهو الامكنة الأمناع بالله وبحبل الله القرآن وبعهد الله بالعمل بما امرهم به من طاعته بالقيام بأوامره ونواهيه من عاصيه في مختلف الاحوال والعصمة هو المنع من جميع محارم الله كما روي عن علي بن الحسين عليهما السلام الامام من لا يكون معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف قيل فبما العصمة قال عليه المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيمة والامام يدل على القرآن والقرآن يدل على الامام وذلك قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وفي الاصطلاح العصمة على ما افاده العلامة هي اللطف المانع للمكلف من فعل القبائح وترك الواجبات مع علمه بها وقدرته عليها غير ساقط للقدرة على خلاف ما يقتضيه ذلك اللطف والا لم يكن مكلفا ولم يستحق مدحا ولا ثوابا بان ذلك اللطف موجب للعلم الضروري بانتفاء المعصوم عما لو فعله لاستحق به الذم والعقاب فخرج بقوله اللطف الداعي الى فعل الطاعة والصارف عن فعل المعصية فانه لا يوجب العلم الضروري بانتفاء المعصوم عما لو فعله لاستحق به الذم والعقاب لجواز ان يفعل المعصوم المعصية مع وجود اللطف لكن لا على وجه يستحق به الذم والعقاب كالسهو والنسيان ونحوهما وبقوله غير ساقط للقدرة على خلاف ما يقتضيه اللطف الالجاء فانه يوجب العلم الضروري بانتفاء المعصوم عما لو فعله لاستحق به الذم والعقاب مع انه ليس بمعصوم لسقوط القدرة على خلاف ما يقتضيه اللطف وبقوله لا لكن كلفا ولم يخل ولا ثوابا بان ذلك اللطف موجب للعلم الضروري بانتفاء المعصوم عما لو فعله لاستحق به الذم والعقاب مع انه ليس بمعصوم لسقوط التكليف وبقوله لا لكن كلفا ولم يخل ولا ثوابا بان ذلك اللطف موجب للعلم الضروري بانتفاء المعصوم عما لو فعله لاستحق به الذم والعقاب مع انه ليس بمعصوم لسقوط التكليف وبقوله لا لكن كلفا ولم يخل ولا ثوابا بان ذلك اللطف موجب للعلم الضروري بانتفاء المعصوم عما لو فعله لاستحق به الذم والعقاب مع انه ليس بمعصوم لسقوط التكليف

العصمة

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي

اسمه ونسبه الشريف

هو الشيخ أحمد بن زين الديـــن، بن الشيخ إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغـــر، بن رمضان، بن راشـــد، بن دهيم، بن شمروخ، آل صقر، القرشي الأحسائي المطيرفي[1].

من مشاهير العلماء، وكبار الفلاسفة.

مولده ونشأته

وُلِدَ تغمَّدَهُ في «المُطَيْرَفي» من قرى الأحساء، في شهر رجب عام: «١١٦٦هـــ»، وبها نشأ وترعرع؛ تحت رعاية والده الشيخ زين الدين، وبانت عليه علامات النبوغ منذ نعومة أظفاره، فكان يذكر ما جرى في بلاده من الحوادث وابتدأ يدرس النحو قبل أن يبلغ الحلم[2].

---

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص٩.

(٢) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي، ص٩-١٣.

مشائخه في الرّواية

يروي تقدس عن جماعة من فحول العلماء، منهم :

١- السيد محمد مهدي الطباطبائي بحر العلوم .

٢- الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي .

٣- السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض» .

٤- السيد ميرزا مهدي الشهرستاني .

٥- الشيخ حسين آل عصفور البحراني .

٦- الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني .

وهؤلاء المشائخ الستة؛ طُبعت إجازاتهم – للمترجم له – ضمن كتاب «ترجمة الشيخ أحمد الأحسائي»، ثم طُبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف عام : «١٣٩٠هـ»؛ بتعليق الدكتور حسين علي محفوظ .

وذكر الطهراني في «الذّريعة»؛ أنّ مجموع الإجازات الصادرة للمترجم من مشائخه قد جُمعت في مجلد يقرب من عشرة آلاف بيت، كان عند صاحب كتاب «النعل الحاضرة»[1] .

ومن ذلك يظهر؛ أن للشيخ الأحسائي مشائخ كثيرين غير من ذكرناهم .

تلامذته

١- السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي، المتوفى عام: «١٢٥٩هـ».

٢- الميرزا حسن بن علي الشهير بـ «كَوهر»، المتوفى عام : «١٢٦٦هـ» .

---

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٢٠، ص٥٨ .

٣- المولى محمد بن الحسين المعروف بـ«حجة الإسلام» المامقاني التبريزي، والد صاحب «صحيفة الأبرار» .

٤- السيد عبد الله بن السيد محمد رضا شبّر الحسيني الشهير، المتوفى عام : «١٢٤٢هـ» .

٥- الشيخ هادي بن المهدي السبزواري؛ صاحب «المنظومة» - في الحكمة - المتوفى عام : «١٢٨٩هـ» .

٦- السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي، المتوفى عام : «١٢٢٧هـ» .

مؤلفاته

لقد خلّف المترجم له عدداً كبيراً من الكتب والرَّسائل، في مختلف العلوم والمعارف، وقد أفرد أكثر من مؤلِّف فهرساً خاصاً بأسماء تلك المؤلفات، منها :

فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي؛ لرياض طاهر، وهو خاص بفهرسة مؤلفاته المطبوعة؛ التي بلغت «١٠٤ مؤلفاً» .

وفيه : (إنَّ مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب وفوائد وقصائد «١٥٤»، ومجموع جوابات المسائل «٥٥٥ مسألة»، من مخطوطة ومطبوعة على الأقل)[1] .

---

(١) فهرست تصانيف كتب الشيخ أحمد الأحسائي، ص٣ .

ومن أشهر تلك المؤلفات :

١- شرح الزِّيارة الجامعة الكبيرة؛ في أربع مجلّدات، طبع ماخراً في خمسة مجلدات .

٢- شرح الفوائد؛ في حكمة آل البيت عليهم السلام .

٣- شرح على العرشية والمشاعر؛ للملا صدر الدين الشيرازي .

٤- العصمة و الرجعة؛ في إثبـــات عصمة الأنبيـــاء، وإثبات رجعة أهل البيت عليهم السلام .

٥- جوامع الكلم؛ الجامع لغالب رسائله .

ثناء العلماء عليه

قال السيد علي الطباطبائي صاحب «الرياض» : (إنَّ من أغلاط الزَّمان، وحسنات الدَّهر الخوَّان؛ اجتماعي بالأخ الروحاني، والخل الصمداني، العالم العامل، والفاضل الكامل، ذي الفهم الصائب، والذِّهن الثاقب، الراقي أعلى درجات الورع والتَّقوى والعلم واليقين؛ مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي –دام ظله العالي– فسألني، بل أمرني أن أجيز له ...)[1] .

قال الشيخ حسين آل عصفور البحراني : (التمس مني من لَه القَدم الرَّاسخ في علوم آل بيت محمد الأعلام، ومن كان حريصاً على التعلق بأذيال آثارهم، عليهم الصَّلاة والسَّلام) . – إلى أن قال – : (وهو العالم الأمجد، ذو المقام الأنجد؛ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي– ذلَّل الله له شوامس

---

(١) إجازات الشيخ الأحسائي، ص٢٣ – ٣٧ – ٣٨ .

المعاني، وشيَّد به قصور تلك المباني- وهو في الحقيقة؛ حَقِيْقٌ بأن يُجيز لا يجاز، لعراقته في العلوم الإلهية على الحقيقة لا المجاز، ولسلوكه طريق أهل السلوك وأوضح المجاز ...)[1].

قال الخوانساري في «روضات الجنات» : (ترجمان الحكماء المتأهلين، ولسان العرفاء والمتكلمين، غرة الدهر، وفيلسوف العصر، العالم بأسرار المباني والمعاني؛ شيخنا أحمد بن الشيخ زين الدين بن الشيخ إبراهيم الأحسائي البحراني، لم يُعهد في هذه الأواخر مثله؛ في المعرفة والفهم، والمكرمة والحزم، وجودة السَّليقة، وحسن الطريقة، وصفاء الحقيقة، وكثرة المعنوية، والعلم بالعربية، والأخلاق السَّنية، والشِّيم المرضيّة، والحِكم العلميَّة والعمليَّة، وحسن التعبير والفصاحة، ولطف التقرير والملاحة، وخلوص المحبة والوداد، لأهل بيت الرسول الأمجاد، بحيث يُرمى عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالإفراط والغلو، مع أنه -لا شك- من أهل الجلالة والعلوّ، وقد رأيت صورة إجازة سيدنا؛ صاحب الدُّرة -أجزل الله تعالى برّه- لأجله، مُفصحةً عن غاية جلالته وفضله ونبله)[2].

وفاته ومدفنه

كان عمره «٧٥ عاماً» وهو في سفره الأخير إلى بيت الله الحرام، وكان بصحبته ولداه الشيخ علي والشيخ عبد الله وبقية عائلته، وبصحبته

---

(١) إجازات الشيخ الأحسائي، ص١٩- ٤٣ — ٤٤ .

(٢) روضات الجنات، ج١، ص٨٨ — ٨٩ .

أيضاً بعض تلامذته وأصحابه وغيرهم، وفي الطَّريق أُصيب الشيخ الأحسائي بمرض، فتوفي تغمده في مكان يقال له «هَدْيَة» قُرْبَ المدينة المنورة، وكان ذلك ليلة الجمعة، أو يوم الأحد «٢٢ - ذو القعدة - ١٢٤١هـ»، ومادة تأريخه «مختار» .

ونُقل جثمانه إلى «المدينة المنورة»، فجهَّزه نجله الشيخ علي نقي، وصلّى عليه، ثم دُفِن في بقيع الغرقد، مجاوراً للزهراء، وأبنائها الأئمة : الحسن، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق عليهم السلام، خلف قبورهم عليهم السلام، في الطرف المقابل لبيت الأحزان .

وكان قبره هناك معروفاً مشهوراً، يزوره الكثير من العلماء والمؤمنين؛ إلى أن هُدِّمت قبور الأئمة وغيرها في بقيع الغرقد، سنة «١٣٤٥هـ» .

وممن زار قبره قبل هذا التاريخ، العلَّامة الشهير؛ الشيخ عباس القمي، صاحب كتاب «مفاتيح الجنان»، وقال أنه رأى على قبره الشريف لوحاً مكتوباً عليه :

لِـزَيْنِ الدِّيْـنِ أَحْمَد نُوْرُ عِلْمٍ ... تُضِـيء بِـهِ القُلُوب المُدْلَهِمَّة

يُـرِيْدُ الجَـاحِدُوْنَ لِيُطْفِـئوهُ ... وَيَـأْبَى اللهُ إِلَّـا أَنْ يُـتِمَّه[1]

---

(١) الفوائد الرَّضوية، ص٣٧ .

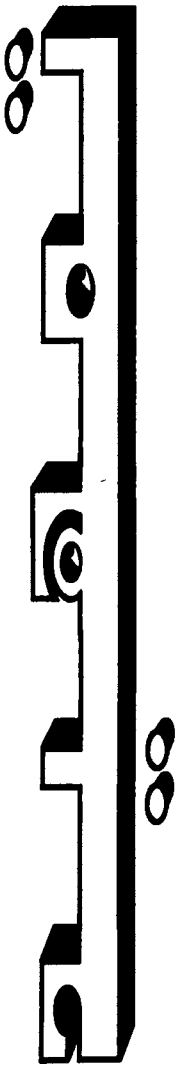

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جزيل النعم والآلاء، وجميل الأفضال والعطاء، وحسن البلاء، وجليل العظمة والكبرياء، وصلى الله على محمد وآلـــه النبلاء، الذين خصهم بالعصمة والولاء، وجمَّلهم بأكمل الثناء، وجعلهم ملوك الدنيا والآخرة والأولى، صلى الله عليه وعليهم ما دامت الأرض والسماء .

أما بعد؛ فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي، أنَّ حامي حوزة المسلمين وناصر الدين، ومعز المؤمنين العضد اليمنى للسلطنة، والركن الأقوى للدولـــة السنية، حليف السعادة، وجليل الإفادة، ورافد الوفادة، كعبة الكرم، وحرم الشيم، والمولى المحترم، الشاه بن الشاه بن الشاه محمد علي ميرزا الشاه زاده -أدام الله تأييده وإمداده، وأشاد نصره وأوفاده، وأيده بالنصر هو وأجناده، وحفظه هو وأولاده، وسدّده وسدّد لَه نظام دولته، على ما أحبه وأراده، وأصلح لَه بما نفَّر به عينه ميعاده، وختم له أحواله وأعماله بالسعادة، إنه سميع الدعاء، لطيف

لما يشاء، وهو على كل شيء قدير، وبالإجابة لمن دعاه جدير، رحم الله من قال آمين، فإنَّ في ذلك صلاح الدنيا والدين- قد أمر محبه وداعيه أن يكتب شيئاً في بيان العصمة وثبوتها لأهلها عليهم السلام، ونفي ما ينافي ذلك وما يرد عليه .

وفي ذكر رجعة محمد وأهل بيته الطاهرين، وخواص شيعتهم ومواليهم وأعدائهم، وذكر علاماتها وأحوالها، وذكر ما ورد فيها[1] .

فأجبته إلى ذلك مع قلة البضاعة وكثرة الإضاعة، وتشتت الخاطر بدواعي الأعراض، وموانع الأمراض بناءً على الإتيان بما يحضر من هذه الأمور، لأنه من جهة كثرة الموانع هو المقدور، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور، وإلى الله ترجع الأمور .

ورتبت بيان كل واحدة من المسألتين على مقدمة وفصول وخاتمة تقريباً للوصول إلى المحصول .

---

(١) هذه الرسالة تتكون من مسألتين رئيسيتين : المسألة الأولى : في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وهي التي بين يديك . والمسألة الثانية : في الرجعة وما يتعلق بها، وقد أفردت لوحدها .

[تعريف العصمة لغة]

قيل : (العصمة) في اللغة : المنع[1]، ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾[2] أي يمنعك منهم فلا يقدرون عليك .

وقوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾[3] أي التجئوا إلى الله بطاعته، وحبل الله هو القرآن[4] .

وقيل : بعهد الله يرجع إلى معنى الامتناع بالله، وبحبله إلى القرآن، أو بعهده إليهم بما أمر به من طلعته بالقيام بأوامره ونواهيه، من معاصيه وسخطه وعقابه .

---

(١) لسان العرب، ج١٢، ص٤٠٣، مادة : (عَصَمَ) .

(٢) سورة المائدة، الآية : ٦٧ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٠٣ .

(٤) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال : (أيها الناس إني تارك فيكم حبلين، إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) . [تفسير مجمع البيان، ج٢، ص٨٠٥، سورة آل عمران، آية : ١٠٣] .

والمعصوم هو الممتنع من جميع محارم الله كما روي[1]، وروي عن علي بن الحسين عليهما السلام : (الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك ما يكون إلّا منصوصاً .

فقيل له : يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ .

فقال : المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2])[3] .

[تعريف العصمة اصطلاحاً]

وفي الاصطلاح : (العصمة) على ما اختاره العدلية : هي (اللطف المانع للمكلف من ترك الواجبات وفعل المحرمات، يفعله الله به غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى ذلك اللطف، وإلّا لم يكن مكلفاً، ولم يستحق مدحاً ولا

---

(١) عن حسين بن الأشقر، قال : قلت لهشام بن الحكم : ما معنى قولكم إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟ .

فقال : سالت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك، فقال : (المعصوم : هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، ...) . معاني الأخبار، ص١٣٢، ح٢، باب : معنى عصمة الإمام . بحار الأنوار، ج٢٥، ص١٩٤، ح٦، باب : ٥ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٩ .

(٣) معاني الأخبار، ص١٣٢،ح١، باب : معنى عصمة الإمام . بحار الأنوار، ج٢٥، ص١٩٤، ح٥، باب : ٥ . تفسير الصافي، ج١، ص٣٦٥، سورة آل عمران، آية : ١٠٣ .

ثواباً، بل ذلك اللطف موجب لسلب الداعية المستلزمة لأحدهما)، وهذا حاصل ما قرروه في قواعدهم .

وعند الأشاعرة[1] : العصمة : (ألا يخلق الله في المعصوم ذنباً)، ولأجل غرض لهم في ذلك كما يأتي خصوه بكونه من الكبائر؛ كالكفر وسائر الكبائر، ومن الصغائر الدالة على الخسة والرذالة؛ كسرقة حبة، أو لقمة مما ينسب فاعله إلى الدناءة والخسة والرذالة، وذلك بناء على أصلهم من استناد جميع الأشياء كلها إلى القادر المختار .

وعند الحكماء : العصمة : (ملكة تمنع الفجور، ناشئة من العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، وتتأكد في الأنبياء بتتابع الوحي إليهم بالأوامر الداعية إلى ما ينبغي، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي)[2] .

وعلى تعريف العدلية بأنَّ العصمة تستلزم سلب الداعي الذي هو الميل والإرادة لا سلب القدرة معه، إنما يتم على رأي من يقول أن القدرة لا يدخل في مفهومها الإرادة، وإنما هي الصفة التي بها يقع التأثير عند انضمام الإرادة إليها، كما هو الحق في المسألة؛ لأن الإرادة هي داعي القادر إلى الفعل الذي هو التأثير .

وأما على رأي من يقول أن القدرة هي مجموع ما يتوقف عليه التأثير ومنه

---

(١) الأشاعرة هي : (فرقة تنسب إلى أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المولود في سنة ٢٦٠هـ، والمتوفى سنة ٣٢٤هـ) . [معجم الفرق الإسلامية، ص٣٥] .

(٢) المواقف في علم الكلام، ص٣٦٦ .

الإرادة فلا يصح قولهم غير سالب للقدرة، لأنه إن لم يسلب القدرة لم يستلزم سلب الداعي لدخوله في مفهوم القدرة، وإذا لم يستلزم ذلك اللطف سلب الداعي لم تتحقق العصمة، بل يكون المكلف مع ذلك مقارفاً للذنوب، أو طالباً لها محباً، وإن سلب القدرة لم يتوجه إليه الخطاب، وكذلك إن سلب الإرادة استلزم سلب القدرة لرفع المركب برفع بعض أجزائه .

وعلى تعريف الأشاعرة أنه إذا بنوا ذلك على أصلهم من استناد جميع الأشياء إلى القادر المختار ﷻ فيقال لهم : هل الكسب الذي أثبتوه للعبد والمباشرة اللذان هما علة ترتّب الثواب والعقاب، مخلوقان لله ليس للعبد فيهما صنع أم لا، بل هما صادران من العبد باختياره؟، فإن جعلوهما مخلوقين لله تعالى كغيرهما من الأشياء ليس للعبد فيهما صنع، امتنع تكليف ذلك المعصوم، وإنما يتحقق عدم خلق الذنب فيه مع اقتضائه ذلك بالتكليف لو لا العصمة .

فإذا لم يتحقق التكليف لم يتحقق عدم خلق الذنب مع عدم مقتضيه، وكون أفعاله تعالى غير معللة بالأغراض كما يزعمون، أو تجويز التكليف بالمحال وما لا يطاق لا تقتضي جواز ذلك، لأنه فرع التكليف، والتكليف فرع تحقق الأنية .

وإذا كان كل شيء من الله تعالى من غير اعتبار شيء من قابليات المكلف سقط اعتباره خصوصاً في الأنية، فافهم .

وإن كانا صادرين عن المكلف باختياره ليصح نسبة ترتب الثواب والعقاب إلى المكلف اقتضيا طـــاعة أو معصية بنسبة اعتبارهم، فيلزم في تعريف العصمة

بنسبة اقتضائهما ذلك، اعتبار تعريف العدلية، مع أن العصمة معنى وجودي، وهم عرفوه بالعدمي .

وعلى تعريف الحكماء أنه ناقص يحتاج إلى قيد وهو أن يقال : ملكة تمنع الفجور منعاً غير سالب للقدرة إلخ .

ثم أنّا نقول أن الملكة في تعريف الحكماء ثمرة اللطف في تعريف العدلية .

وقول الحكماء : (ناشئة من العلم ... إلخ)، ليس بشيء لأن العلم لا يثمر تلك الملكة إلّا أن يراد به العلم الحقيقي، وهو المقترن بالعمل بحيث لا يتخلف عنه في حال، فحينئذٍ يكون صورة للعصمة ومادتها، طلب الله سبحانه من المكلف وهدايته وروحها ذلك اللطف .

فعلى ظاهر القول يكون تعريف الحكماء مع اعتبار القيد أقرب لاشتماله على الجنس القريب، وأما تعريف العدلية فأولى أن يكون رسماً .

وحاصل القول والصواب في تعريفها : (أنها ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها) .

فصل

[العصمة واللياقة المناسبة لها]

اعلم أنَّ الله سبحانه خلق الأشياء بفعله على حسب قوابلها لفعله، بمعنى أنه أحدث موادها لا من شيء، -أعني وجوداتها وصورها- كما قَبِلَت؛ يعني أنه تعالى ركب صورتها على حسب قوابلها، فمن لطفت مـــادته ورقت لشدة نوريتها وقربها من المبدأ الفياض الـــذي هو مشيئة الله وفعله تلاشت إنيتها وضعفت، بحيث لا تكاد تنافي هيئة فعله، فلا تبدو عنها هيئة تخالف هيئة فعله، فلا يقع لها متعلق اقتضاء غير ما اقتضته هيئة مشيئته، فلا يريد ذلك المخلوق غير ما يريد خالقه، كما قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[1] وهو معنى قول علي عليه السلام : (فجعلهم ألسن إرادته)[2] يعني : أن إرادته تعالى تنطق

---

(١) سورة الإنسان، الآية : ٣٠ .

(٢) مصباح الكفعمي، ص٦٩٥، فصل : ٤٩ . إقبال الأعمال، ص٤٦٢ . مصباح المتهجد، ص٧٥٢، خطبة أمير المؤمنين في يوم الغدير .

بهم، فقولهم قوله تعالى، وفعلهم فعله ﷻ[1]، وهو معنى قولهم : (نحن محال مشيئة الله) .

وفي زيارة الحجة عليه السلام عن أبي جعفر محمد بن عثمان العمري : (مجاهدتك في الله ذات مشيئة الله، ومقارعتك في الله ذات انتقام الله، وصبرك في الله ذو أناة الله، وشكرك لله ذو مزيد الله ورحمته) . وفيها بعد هذا : (والقضاء المثبت ما استأثرت به مشيئتكم، والممحو ما لا استأثرت به سنتكم)[2]، فكان بعناية الله ولطفه عن قابليته سابقاً لكل من لم يكن كذلك .

وقولي : (بعناية الله ولطفه)، أريد منه أنه تعالى لطف بذلك العبد لسبق عناية الاختصاص فراضه بقابليته، حتى بلغ به أعلى مقام القرب من رضوانه كما في الزيارة التي رواها ابن طاووس، والشيخ محمد ابن مشهدي، والشيخ المفيد في الثناء على أهل البيت عليهم السلام الذين هم أهل هذه المرتبة التي نحن بصدد بيانها، وفيها : (لا يسبقكم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع، ولا يضادكم ذو ابتهال وخضوع، أنى ولكم القلوب التي تولى الله رياضتها، بالخوف والرجاء، وجعلها أوعيته للشكر والثناء، وأمنها من عوارض الغفلة، وصفاها من شواغل الفترة، بل يتقرب أهل السماء بحبكم، وبالبراءة من

---

(١) عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى جعل قلوب الأئمة عليهم السلام موارد لإرادته، وإذا شاء شيئاً شاءوه، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾) . [تفسير البرهان، ج٨، ص١٨٧، ح٢، سورة الإنسان، آية : ٣٠] .

(٢) بحار الأنوار، ج٩١، ص٣٦، ح٢٣، باب : ٢٨ .

أعدائكم، وتـــواتر البكـــاء على مصـــابكم، والاستغفار لشيعتكم ومحبيكم ... إلخ)[1] .

فكانت فطرة هذا العبد على هيئة فعله تعالى ومحبته، فحين توجه إليه أمر ربه كان ميل فطرته وداعي صورته العينية مطابقاً لمحبة الله وإرادته وأمره، مع دوام الرياضة والتربية عن حقيقة ما هو أهله بالتوفيق والتسديد، وعدم التخلية إلى نفسه في كل حال، فَتَكَوَّنَ وَتَحَقَّقَ وثبت، واستقر عن ذلك اللطف والعناية، والرياضة والتربية المصاحبة للتوفيق والتسديد وعدم التخلية، مع مطابقة تلك الفطرة لفعل الله وإرادته ومحبته، ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها، لكون تلك العنايات والألطاف، والريـــاضات والتربيات، والتوفيقات والتسديدات، جارية لذلـــك العبد بقابليته وحقيقة مـــا هو أهله، كما أشار إليه تعالى في قوله : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2] .

وذكر أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» في الثناء على النبي صلى الله عليه وآله في خطبته يوم الغدير والجمعة، كما رواه الشيخ في المصباح، قال عليه السلام : (وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه به، انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وأتمنه آمراً ناهياً عنه، أقامه في

---

(١) مصباح الكفعمي، ص٦٩٥، فصل : ٤٩ . إقبال الأعمال، ص٤٦١ . مصباح المتهجد، ص٧٥٢، خطبة أمير المؤمنين يوم الغدير . بحار الأنوار، ج٩٤، ص١١٢، ح٨، باب : ٦٠ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

سائر عالمه في الأداء مقامه، إذ لا تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثله غوامض الظنن في الأسرار، لا إله إلّا هو الملك الجبار، قرن الاعتراف بنبوته بالاعتراف بـــلاهوتيته، واختصه من تكرمته بما لم يلحقه فيه أحد من بريته، فهو أهل ذلـــك بخاصته وخلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه بالتظنين ... إلخ)[1] .

فأبان عليه السلام أنّ استخلاص الله تعالى له واختصاصه به، إنما هو لانفراده عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس، وذكر علة ذلك فقال : (لأنه عز وجل لا يختص من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه التظنين)، وهو المراد مما أشرنا إليه من تحقيق تلك الملكة، وبيان منشئها فتفهم ما ذكرناه[2]، وما ذكر عليه السلام في هذه الخطبة .

وقولي : ملكة ربانية لبيان نشوء هذه الملكة على مقتضى تلك التربيات، والرياضات والألطاف الربانية، وهذه الملكة هي العصمة[3] .

فإذا عرفت ما ذكرنا لك في بيانها تبين لك ما في التعاريف الثلاثة السابقة لعدم انطباقها على ما ذكرنا بيانه ومنشأه[4] .

---

(١) مصباح الكفعمي، ص٦٩٥، فصل : ٤٩ . إقبال الأعمال، ص٤٦١ . مصباح المتهجد، ص٧٥٢، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغـــدير .

(٢) راجع الصفحة رقم (٢٧) من هذا الكتاب .

(٣) راجع الصفحة رقم (٢٧) من هذا الكتاب .

(٤) راجع الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

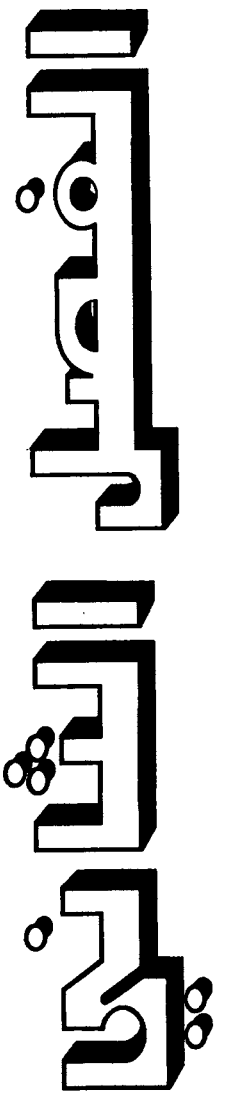

فصل

[العصمة مجمع الكمالات]

العصمة مجمع الكمالات، لانطواء جميع الكمالات فيها، باعتبار عموم دائرتها وإحاطتها بجميع الصفات والأفعال من الجهة العليا، وهي جهة التلقي من الفيض الإلهي، لقوة استعدادها لذلك .

ومن الجهة السفلى، وهي جهة الأداء والتبليغ، وتربية الرعية، وعمارة مدينة الكون والنظام؛ لأنها هي العدالة المطلقة الإمكانية المستلزمة لحفظ النسبة الأيجادية الإلهية بين جميع الموجودات، على ما هي مذكورة به في العلم الإمكاني من نفس الأمر، وإلى هذه العدالة المطلقة الإمكانية التي هي العصمة، الإشارة في قوله عليه السلام : (بالعدل قامت السماوات والأرض)[1] .

وروي في حديث آخر : (بالعدول قامت السماوات والأرض)[2]، يعني : بالعدول أصحاب

---

(١) عوالي اللآلي، ج٤، ص١٠٢، ح١٥٠ .

(٢) عوالي اللآلي، ج٤، ص١٠٣، ح١٥١ .

العصمة / للشيخ الأحسائي قدس سره

تلك العدالة المطلقة التي هي العصمة، لأنهم يسيرون في أعمالهم وأحوالهم، وأقوالهم وأفعالهم على مقتضاها من حفظ النظام، وعمارة المدينة، بحفظ النسب القيومية الإلهية بين الأشياء كلها، التي بها يرتفع الفساد من سائر البلاد، فهي عند المحققين تقتضي أمور :

الأول : صدق الأقوال في كل المواطن .

الثاني : حسن الأفعال في جميع الأعمال .

الثالث : صحة الأحوال واستقامتها على مقتضى العدل .

الرابع : ملازمة المراقبة والتلقي من الجهة العليا .

الخامس : مداومة شهود العليا قبل السفلى ومعها من غير انتقال البصيرة، ولا التفات السريرة .

السادس : حفظ الحقوق عن التعطيل والتعطل .

السابع : حفظ نظام المعاش والمعاد عما يوجب اختلالهما بحسب الأمور العقلية والشرعية في التمام والكمال .

[صفات العصمة]

وتلزمها أوصاف حميدة شريفة يتصف بها من اتصف بهذه الملكة؛ كالعقل الكامل، والعلم والحلم، والخير والإيمان، والتصديق والرجاء، والعدل والرضا، والشكر والتوكل، والرأفة والرحمة، والفهم والعفة، والزهد والرفق، والرهبة والتواضع، والتؤدة والصمت، والاستسلام والتسليم، والصبر والصفح، والغناء عن الخلق، والفقر إلى الخالق سبحانه، والتذكر والذكر، والحفظ والتعطف، والقنوع والمواساة، والمودة والحب، والصدق والحق، والأمانة والإخلاص،

والشهامة والشجاعة، وقوة الرأي، وحسن الخلق، والفهم والمعرفة والمداراة ، وسلامة الغيب، والكتمان والصلاة والزكاة، والصوم والحج والجهاد، وصون الحديث عن النميمة، وبر الوالدين، والحقيقة والمعروف، والستر والتقية، والإنصاف والتهيئة، والنظافة والحياء، والقصد والراحة، والسهولة والبركة، والعافية والقَوام «بفتح القاف»، والحكمة، والوقار والسكينة، والسعادة والتوبة والاستغفار، والمحافظة والدعاء، والنشاط والفرح، والألفة والكرم، والسخاء وسلامة الخلقة من العيوب المنفرة للطباع، كالجذام والبرص، وتشويه الصورة، وأمثال هذه من الصفات الحميدة الشريفة .

[لوازم العصمة]

وتلزمها الطهارة والنـــزاهة عن أضداد تلك الأوصاف الحميدة، لأن كل صفة من تلك الأوصاف الحميدة تكون فيها إنما تكون في أعلى مراتبها وأكملها، فلا يجامعها شيء من ضدها .

فإن قلت : إنَّ مراتب هذه الملكة متفاوتة تفاوتاً لا يكاد يتناهى، فلو لم يكن في الرتبة الناقصة شيء من ضدها لما كانت ناقصة، بل تساوي العليا؟ .

قلت : إنَّ السفلى ليست ناقصة في رتبتها ليلزمها شيء من ضدها، بل هي كاملة في رتبتها كمالاً لا يتحمل شيئاً من ضدها، لأن الضد إنما يظهر في رتبته من النقصان المتحقق في تلك الرتبة، ونقصانها بالنسبة إلى ما فوقها لا يصلح أن يكون محلاً لضدها، لأنه محل لضد ما فوقها، فلا ينسب إليها مع كمالها وعدم صلوح محلها محلاً له، فهي كاملة، وتزداد بدوام المدد كمالاً،

وهكذا بلا نهاية، كما أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله بطلب زيادة علمه مع كماله، فقال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] وهذا الطلب حاصل له أبد الآبدين .

---

(١) سورة طه، الآية : ١١٤ .

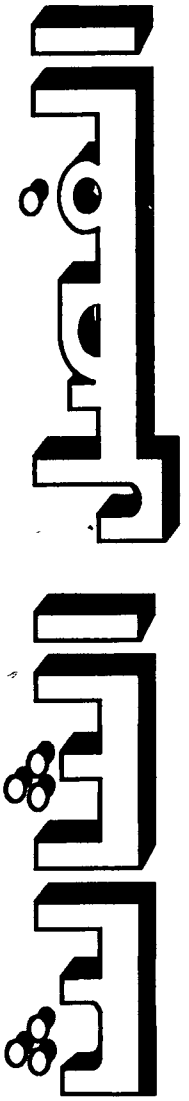

فصل

[اختلاف الجمهور في متعلق العصمة]

اعلم أنه قد اختلف في متعلق العصمة ما هو، فقال الجمهور[1] : (إنَّ متعلقها الأداء والتبليغ)، لأنه المقصود منها، فلا تجب العصمة إلا لأجله، إذ لو لا حاجة المكلفين إلى ذلك لم توجد، لأن تكليفهم متوقف على معرفة ما كلفوا به، وهذه المعرفة متوقفة على إخبار الواسطة المبلغ عن الله، وحصول المعرفة عن إخبار الواسطة متوقف على صدقه، وصدقه متوقف على العصمة، فوجبت لذلك[2] .

---

(١) الجمهور هم : (جمهرة الرواة والحفاظ، وأصحاب السير والصحاح، والفقهاء والمؤرخين من العامة وأهل السنة) . [معجم الكلام، ص٨٧، حرف الجيم، رقم : ٢٣] .

(٢) قال صاحب كتاب معاني الأخبار : (لما كان كل كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوهاً من التأويل، وكان أكثر القرآن والسنة مما أجمعت الفرق على أنَّه صحيح لم يغير، ولم يبدل ولم يزد فيه ولم ينقص منه محتملاً لوجوه كثيرة من التأويل، وجب

وقال الأكثر من المحققين : (إنَّ متعلقها مجرد استعداده لقبول الفيض من الحق سبحانه عليه، الذي من جملته الأداء والتبليغ)، لأن الاستعداد شرط في حصول التبليغ والأداء، وهو مرتبة الولاية المطلقة السابقة على مرتبة النبوة، التي معناها الأداء والتبليغ، فتكون العصمة سابقة على وقت الأداء، ضرورة تقدم الاستعداد على ذلك، ومرتبة الولاية هي مرتبة القرب من الحق الموجبة للفيض والاستفادة منه ومن مقربي حضرته، على مراتب الاستعداد، فيجب أن يكونوا

⇦ أن يكون مع ذلك مخبر صادق معصوم من تعمد الكذب والغلط، منبئ عما عنى الله ورسوله في الكتاب والسنة على حق ذلك وصدقه، لأن الخلق مختلفون في التأويل، كل فرقة تميل مع القرآن والسنة إلى مذهبها، فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصفة من غير مخبر عن كتابه صادق فيه، لكان قد سوَّغهم الاختلاف في الدين، ودعاهم إليه إذا أنزل كتاباً يحتمل التأويل، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله سنة تحتمل التأويل، وأمرهم بالعمل بهما، فكأنه قال : تأولوا واعملوا .

وفي ذلك إباحة العمل بالمتناقضات، والاعتماد للحق وخلافه، فلما استحال ذلك على الله عز وجل وجب أن يكون مع القرآن والسنة في كل عصر من يبين عن المعاني التي عناها الله عز وجل في القرآن بكلامه، دون ما يحتمله ألفاظ القرآن من التأويل، ويبين عن المعاني التي عناها رسول الله صلى الله عليه وآله في سننه وأخباره، دون التأويل الذي يحتمله ألفاظ الأخبار المروية عنه صلى الله عليه وآله، المجمع على صحة نقلها، وإذا وجب أنه لا بد من مخبر صادق وجب أن لا يجوز عليه الكذب تعمداً، ولا الغلط فيما يخبر به، عن مراد الله عز وجل في كتابه، وعن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله في أخباره وسننه، وإذا وجب ذلك وجب أن يكون معصوماً عن الكذب والغلط) . [معاني الأخبار، ص١٣٣] .

متخلقين بأخلاقه، موافقين له في جميع الأفعال، فلا يحبون إلّا ما يحب، ولا يكرهون إلّا ما يكره، وذلك هو عين العصمة المطلقة .

أقول : ظاهر قول هؤلاء : (أن متعلقها مجرد استعداده لقبول الفيض من الحق سبحانه عليه، الذي من جملته الأداء والتبليغ)، أنّ المراد منه صفة الموصوف بها، بمعنى أنّ اتصافه بها هو ذلك أو ما يلزم عنه، بقرينة تعليلهم؛ أعني قولهم : لأن الاستعداد شرط في حصول التبليغ منه، والأداء بمعنى مطلق التعلق، سواء كان تعلق التلقي من الفيض، أم تعلق التبليغ منه، وأداء المتلقي عنه إلى المكلفين .

وظاهر قولهم مرتبة النبوة التي معناها الأداء والتبليغ ينافي الأول، لأن قولهم : فتكون العصمة سابقة على وقت الأداء، ضرورة تقدم الاستعداد على ذلك ينافي قولهم الذي من جملته الأداء والتبليغ، وكأنهم أرادوا مطلق الوصف، سواء كان لذات العصمة أو الحال محلها؛ أي المتصف بها، أو لمتعلقها من المكلفين بما يراد منهم .

والأولى ما أشرنا إليه سابقاً أنّ حقيقتها هي الملكة التي أشرنا إلى كيفية بدئها هناك[1]، وأنّ محلها الذي هو المتصف بها القائم بوظائفها هو ما أشرنا إلى نورية مادته[2]، وسبقها وقربها من مبدأ الفياض، وإلى ضعف أنيته وتلاشيها، حتى لا تكاد تعتبر في أحكام الإيجاد، وأنّ متعلقها من الجهة العليا

---

(١) راجع الصفحة رقم (٢٧) من هذا الكتاب .

(٢) راجع الصفحة رقم (٣٤) من هذا الكتاب .

هي التلقي بذلك الاستعداد، ومن الجهة الوسطى التي هي المحل، وهو المتصف بها، هو المشار إلى نوع كونه من مادته وصورته المخصوصين، ومن الجهة السفلى هو التبليغ والأداء، فافهم .

فلو أردنا مجرد التعدد لقلنا الأقوال ثلاثة : قول الجمهور : (بأنَّ المتعلق الأداء والتبليغ) .

وقول المحققين : أنَّ المتعلق ما سمعت مما نقلنا عنهم .

وقولي : أنَّ متعلقها في الجهات الثلاث :

الأولى : التلقي .

والوسطى : القبول والإنصاف، والتحمل بذلك الاستعداد .

والسفلى : التبليغ والأداء، فافهم .

فصل

[المعصومون ومؤهلاتهم]

والمتصف بها القائم بوظائفها المتحمل لأعبائها أنبياء الله ورسله[1]، وخلفاؤهم وملائكته، لأنهم مُؤَدُّون إلى عباده، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾[2]، وقول علي بن الحسين عليهما السلام في الصحيفة : (وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِكَ، وَأَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى رِسَالَاتِكَ)[3] .

وقوله عليه السلام : (وَرُسُلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَحْبُوبِ

---

(١) الفرق بين النبي والرسول هو : إنَّ النبي هو : (الذي يرى في منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك) .
والرسول هو : (الذي يرى المنام ويسمع الصوت، ويعاين الملك) . [قصص الأنبياء للجزائري، ص٢١] .

(٢) سورة فاطر، الآية : ١ .

(٣) الصحيفة السجادية، ص٣٤، في الصلاة على حملة العرش . بحار الأنوار، ج٥٦، ص٢١٦، ح٨٥ .

الرَّخَاءِ، وَالسَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ)[1] .

وإنما اشترط اتصاف الدعاة إلى الله سبحانه فيما يأمر وينهى، مما يحب ويكره بالعصمة، لتوفر الدواعي إلى الإقبال إليهم، والثقة بإخباراتهم، ليتم لهم اللطف باتباعهم .

وتكون عندنا مصاحبة لهم، كما يأتي من أول العمر إلى آخره، ليحصل تمام الإقبال وتوفر دواعي المكلفين على الإقبال، والتوجه إليهم الذي هو المقصود بالذات من بعثهم، ولهذا اعتبر فيهم اتصافهم بها لاشتمالها على الصفات الحميدة كما تقدم[2]، وسلامتها من أضدادها، إذ بسببها يرتسم في نفس كل عارف باتصافهم بها، اتصافهم بغاية الكمال ونهاية الجلال، الموجب لتعظيمهم واعتقاد نورانيتهم، التي من شأنها أن تجذب النفوس إليها، وتنجذب انجذاب محبة وعشق، كانجذاب الحديد إلى المغناطيس .

وذلك لأنه قد تقرر في الحكمة من أن النفوس بطباعها منجذبة إلى الأنوار محبة لها وعشقاً، وكلما كانت النورانية أتم وأكمل كان انجذابها إليها أشد وأقوى .

وإنما كان اتصافهم بغاية الكمال ونهاية الجلال؛ لقوة استعدادهم الذي هو مقتضى صفاء نورانية موادهم، وتلاشي أنيتهم، حتى برزت صورهم على

---

(١) الصحيفة السجادية، ص٣٦، في الصلاة على حملة العرش . بحـــار الأنوار، ج٥٦، ص٢١٦، ح٨٥ .

(٢) راجع الصفحة رقم (٣٤) من هذا الكتاب .

هيئة مشيئته وإرادته تعالى، حتى لحقت نواسيتهم بالمجردات، وأقبلوا على معبودهم بجميع الإرادات، وتخلقوا بأخلاقه في جميع الحـــالات، فظهرت فيهم بمقتضى طهارة ذواتهم، وشدة مجاهداتهم، ومراقباته تلك الملكة أعني «العصمة» فاستحقوا مقام السفارة ومنصب الوساطة، فألبسهم خلعة الخلافة، وأقامهم مقامه في عالمه في الأداء إلى بريته، وجعلهم ظاهره في خليقته، كما رواه جابر بن يزيد الجعفي، عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث طويل، إلى أن قال عليه السلام: (وأما المعاني فنحن معانيه، وظاهره فيكم، اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمور عباده...)[1] .

والمراد بالذات التي اخترعهم من نورها ذات محمد صلى الله عليه وآله يعني من نور ذات له، نسبها إليه تعالى تشريفاً وتكريماً على سائر الذوات، لأنه تعالى خلقهم من نور محمد صلى الله عليه وآله فإضافة النور إلى الذات بيانية، وإضافة الذات إلى الضمير بمعنى اللام، والمعنى : اخترعنا من نور هو ذات له، يملكها ويختص بها، وتختص به .

وإنما استحقوا الخلافة والسفارة والقيام مقامه تعالى في خليقته في الأداء والتبليغ، والترجمة لوحيه تعالى، وما أنزل من خزائن غيبه على القابلين والمكلفين، من إمدادات الغيب والشهادة، ومن أوامره ونواهيه، مما به تمام نظام وجوداتهم، ودنياهم ودينهم وأخرتهم، بهذه الملكة التي هي العصمة بعد أن خلقهم لها، وطهرهم من الرجس والدنس[2]، وراضهم بلطف عنايته، حتى

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٤، باب : ١٤ .

(٢) إشـــارة إلى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

كانوا أحق بها وأهلها .

ومعنى قولي : (خلقهم لها)؛ هو ما سمعت من لطفه وعنايته بهم، وتربيته لهم، وتخليقه إياهم بأخلاقه، فلما خلقهم لها كما سمعت هنا وسابقاً خلقها لهم، بتلك القوابل والاستعدادات الموجبة لإيجادها فيهم، فتمت كلمته كما شاء، فيمن يشاء من خلقه .

⇦ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ . [سورة التوبة، آية : ٣٣] .

فصل

[المعصومون وسبب عتاب الباري لهم]

المتصفون بهذه الصفة كانوا لله سبحانه بجميع أفكارهم وأنظارهم، وأقوالهم وأحوالهم، وأعمالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم، فهم بكليتهم وظاهرهم وباطنهم، مقصورون على طاعة الله، محبوسون على محبته ورضاه، لا يريدون إلّا ما يريد، بل لا إرادة لهم غير إرادته، وذلك لما تقدم من صفاء حقائقهم، وتربيته إياهم، بألطافه وتوفيقاته، وتأييداته وتسديداته، واختصاصه إياهم بعصمته .

فإن قلت : قد جاء في الكتب المنـــزلة وصفهم من الحق تعالى بما يخالف ما ذكرتموه من وقوع بعض المعـــاصي والهفوات، ومن معـــاتبته سبحانه لكثير ممن اتصف بتلك الملكة، وقد قلتم إنّ الفائدة في بعثة الأنبياء والرسل وسائر الوسائط والسفراء بين الله سبحانه وبين خلقه تصديقهم، والثقة بإخبارهم، واتباعهم بين الله سبحانه والميل إليهم والقبول منهم فيما يدلون على الله سبحانه

وعلى ما يرضيه من الأعمال الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلّا بعصمتهم لأنها تمنع من كل ما ينفر عنهم وتوجب كل ما يقرب من تصديقهم والثقة من إخبارهم، ووقوع تلك التقصيرات منهم، وعتابهم على تقصيراتهم، ينافي مقتضى العصمة، ويوجب التنفير منهم، وكل هذا ينافي فائدة بعثتهم.

قلت : إن تلك الظواهر الواردة في الكتب السماوية، والعتابات المروية في حقهم عليهم السلام ليست مقصودة على ما هو المعروف عند سائر الناس، فإنَّ المعروف عندهم أنَّ الشخص إذا عاتب آخر، والسيد إذا عاتب عبده، فإنه في تلك الحال وَاجِدٌ عليه[1]، أو مريد لعقوبته، لأجل مخالفته لما أمره به أو نهاه عنه، لأنه عاص له، قادم على مخالفة أمره .

وأما عتاب الله عز وجل فإنه ليس من هذا القبيل؛ لأن أنبياءه لا يقدمون على مخالفته، وإنَّ ما يقع منهم بمقتضى الطبيعة البشرية ليس مما نهى الله عنه نهي تحريم، ليقال : كيف يرجحون داعي الطبيعة البشرية غلى داعي أمر الله، وداعي الطبيعة البشرية النفس الأمارة بالسوء، وداعي أمر الله هو العقل، وأصحاب العقول الكاملة لا يطيعون قرين الشيطان، وإنما هو نهي تنـــزيه وإرشاد، فإذا أراد الله سبحانه أن يرفع نبيه أو وليه إلى درجة لم ينلها بالأعمال، وهو سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[2]، وقد قدر

---

(١) أي : غضبان عليه .

(٢) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ . [سورة الرعد، الآية : ١١] .

لوليه روحاً من أمره يسدده عن الغفلة والخطأ والنسيان، فضلاً منه تعالى من غير استحقاق من ذلك الولي لأن يسدده ذلك الملك، وإن كان إذا قدّر له فقد وضع المعروف موضعه؛ لأنه بالنسبة إلى قابليته صالح لذلك، بحيث لا ينافي في تقديره له مقتضى الحكمة، إلّا أنَّ إعطاءه للقابل نعمة ابتدائية، كما قال سيد الساجدين : (مِنَّتُكَ ابتداء، وعفوك تفضل)[1]، وقوله : (إذ كل مننك ابتداء) .

فإذا أراد رفع درجته إلى ما هو أعلى من مقتضى استعداده بالقابليات الظاهرة والباطنة، التي هي الأعمال أمر الملك المسدد فغاب عنه، وهذا معنى ما ورد في مثل ما قال عليه السلام : (أن يونس «على محمد وآله وعليه السلام» وَكَلَهُ الله إلى نفسه طرفة عين، فيقع منه ما شاء الله تعالى بمقتضى بدء شأن ذلك الولي، في علم الغيب من التقصير) .

لكن لما كان ذلك الولي بقوة الاستعداد وصحة الأعمال، ودوام المراقبة لذي الجلال، مستقيم الطبيعة، كامل العقل، مطمئن النفس، لم تقع منه المعاصي الكبائر ولا الصغائر لبعده منها، إذ ليس للشيطان عليه سلطان، نعم إذا غاب عنه الملك قد يقع منه خلاف الأولى، لأنه ينافي الكمال، ولا يستلزم النقصان، لأنه بتلك الصفات الحميدة، تام قائم في مقامه، ومرتبته التي وضعه

---

(١) الصحيفة السجادية، ص١٩٢، دعائه في وداع شهر رمضان المبارك . مصباح الكفعمي، ص٦٤٠، فصل ٢ . مصباح المتهجد، ص٦٤٢، فصل : في وداع شهر رمضان المبارك .

الله فيها، فإذا وقع منه خلاف الأولى استوجب العتاب والذم من رب الأرباب، لعلم ذلك الولي أنه مرجوح، لا ينبغي له أن يفعله، فإذا فعله مع علمه بذلك عرف من نفسه التقصير، واستحقاق العتاب، لأنّ الله سبحانه أقامه مقام القدس الذي هو محل الخلافة والسفارة المقتضي، لأن يجرى على الحكمة التي هي مقتضى إرادة المولى سبحانه وفعله .

فإذا ورد عليه الذم والعتاب انكسر وأناب، فاستحق بانكساره وذله، واستغفاره وتوبته تلك الدرجة العالية، كما قال تعالى : ﴿فظن داود إنما فتناه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾[1]، ولو لم يغب عنه الملك المسدد له لما وقعت منه الهفوة، ولو لم تقع منه الهفوة لم يرد عليه عتاب ولا ذم، ولو لم يرد عليه ذلك لم يحصل له انكسار في نفسه، ولو لم يحصل له انكسار لم ينل تلك الدرجة العالية .

ومنه قوله صلى الله عليه وآله : (لو لا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا ويغفر لهم)[2] .

وفي تفسر علي بن إبراهيم : (فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب الكهف، قالوا : أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى عليه السلام أن

---

(١) سورة ص، الآيتان : ٢٤-٢٥ .

(٢) تفسير العياشي، ج١، ص١٢٨، ح٣٢٨، سورة البقرة، آية : ٢٢١ . مجموعة ورام، ج٢، ص٢١٠ . بحار الأنوار، ج٦، ص٤١، ح٧٨، باب : ٢٠ . تفسير البرهان، ج١، ص٤٧٤، ح٧، سورة البقرة، آية : ٢٢١ .

يتبعه، وما قصته، فأنزل الله ﷻ : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1] .

قال : وكان سبب ذلك أنه لما كلم الله موسى تكليماً، وأنزل عليه الألواح، وفيها كما قال ﷻ : ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[2]. رجع موسى إلى بني إسرائيل، فصعد المنبر، فأخبرهم أنّ الله قد أنزل عليه التوراة وكلمه، وقال في نفسه : ما خلق الله تعالى خلقاً أعلم مني، فأوحى الله إلى جبرائيل أن أدرك موسى فقد هلك، وأعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخرة رجلاً أعلم منك، فسر إليه وتعلم من علمه، فنـــزل جبرائيل على موسى عليه السلام وأخبره، فذل موسى في نفسه، وعلم أنه قد أخطأ ودخله الرعب، وقال : لوصيه يوشع بن نون : إن الله أمرني أن أتبع رجلاً عند ملتقى البحرين، وأتعلم منه ...)[3] .

وهذا مما ذكرت لك، فإنه لما أراد الله أن يجد في نفسه ذلة وانكساراً، ويعلم أنه أخطأ بالتفاته إلى غير ما أمر به بأن يمضي إليه، أمر الملك المسدد أن يغيب عنه، فلما غاب عنه وجد في نفسه أنه ما خلق الله خلقاً أعلم منه،

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٤٥ .

(٣) تفسير القمي، ج٢، ص١١، سورة الكهف، آية : ٦٠ . قصص الأنبياء للجزائري، ص٢٧٢، باب : ١٢. تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٢٧٠، سورة الكهف، آية : ٦٠ . تفسير مقتنيات الدرر، ج٦، ص٣١١، سورة الكهف، آية : ٦٠.

فأمر الله تعالى جبرائيل أن يأمره بأن يتعلم من الخضر عليه السلام تنبيهاً له على أخطائه، وأبانة لتقصيره لتحصل له بانكساره وذلته النجاة فقد هلك، وهكذا يفعل المقربين عنده كما يعالج الطبيب المرضى بالكي والفصد والحجامة[1]، واسقائه الدواء المر، لأنّ شفاءهم وصحتهم في ألا يجدوا لهم شيئاً من أنياتهم على حد ما قال تعالى : ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[2] .

وبهذا ونحوه يظهر لمن عرف أنهم فيما يفعل بهم منـــزهون عن النقائص والرذائل، وإنّ ما يفعل بهم من قبيل الرياضة لهم بأن يحلهم ويعقدهم، ويصوغهم ويكسرهم، حتى ينال كل واحد منهم أعلى درجات ما يمكن في حقه، كما أوصى شاعرهم التلميذ عند أستاذه حيث قال :

اعدم وجودك لا تشهد له أثراً ودعه يهدمه طوراً ويبنيـــه

فتلك العتابات والتوبيخات دالة على عظم شأنهم وجلالة قدرهم عنده، لعظيم اعتنائه جل جلاله بهم، فإنه قد يعاتبهم ويلومهم على ما ليس بذنب، وإنما هو تكميل على تكميل، وتنـــزيههم عن ملابسة ما لا يليق بمقامهم عنده، وذلك لما ارتضاهم لمقام الحضور والمشاهدة، لزمهم عدم الغفلة، فأوحى إليهم

---

(١) الحِجَامة هي : (المداواة والمعالجة بالمحجم، وهي شيء كالكأس يُفرغ الهواء، ويوضع على الجلد،فيحدث تهيُّجاً ويجذب الدَّم أو المادة بقوة) . [المنجد في اللغة، ج١، ص١٢٠، مادة : (حَجَمَ)] .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٦٥ .

: ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[1] .

فإذا أراد من أحدهم ألا يلتفت من نفسه بمجاهدته واستعداده، فعل به ما سمعت ليطلعه على ما سوى الله، ويعرفه ذلك ليفر إلى الله تعالى من كل ما سواه، على حد تأويل قوله تعالى : ﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾[2]، فتفهم هذا النوع لتنجلي عن قلبك كل شبهة ترد عليه في هذا المقام .

---

(١) سورة الحجر، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١٨ .

فصل

[اختلاف الأقوال في متعلق العصمة]

اعلم أنه قد وقع الاختلاف الكثير بين الناس القائلين بالعصمة في متعلقها ووقتها .

فقالت الإمامية[1] : (إنَّ العصمة تصاحب المعصوم وتلازمه، من أول عمره إلى أخره، ويكون بها معصوماً من جميع الذنوب من الكفر والكبائر كلها، والصغائر كلها، عمداً أو سهواً ونسياناً، بل لا يقع منه مطلق السهو والنسيان)، لأن اللطف الذي هو منشأ العصمة وأصلها منه نشوؤها، ومنه تحققها، حتى كانت ملكة للمعصوم، ومنه تمكين الاستعداد المقتضي لها على نحو ما أشرنا إليه سابقاً[2] .

ومنها لزوم الملك المسدد للمعصوم عن الخطأ،

---

(١) الإمامية هم : (القائلون بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله نصاً ظاهراً، وتعيناً صادقاً، من غير تعرض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين) . [الملل والنحل، ص٦٩] .

(٢) راجع الفصل الأول من هذا الكتاب .

المعلم له عن الجهل، المنبه له عن السهو، المذكر له عن النسيان، المحبب إليه الطاعة، المكره إليه المعاصي، وهو أي ذلك اللطف دائم التعلق بذلك المعصوم، مستمر اللزوم له لوجود المقتضي لذلك من ملازمة الاجتهاد والمراقبة، وقوة الاستعداد .

ولما كانت قوة استعداده موجودة فيه، في أول إيجاده لشدة نورية روحه، وشدة صفاء طينته، لقربهما من المبدأ، بحيث اقتضيا ارتباط اللطف بهما بحقيقة ما هما أهله، كما أشار إليه ﷻ بقوله : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[1]، استحق العصمة بقوة استعداده وقابليته، من أول عمره إلى آخره، المانعة من جميع الذنوب والمعاصي، الكبائر والصغائر مطلقاً، عمداً وسهواً ونسياناً، وقد ذكر سيد الوصيين علي بن أبي طالب «صلوات الله عليه» الإشارة إلى ذلك في قوله :

سبقتكم إلى الإسلام طراً مقراً بالنبي في بطن أمي[2]

لأنه خليفة الله في أرضه على خلقه، وما استخلفه إلّا بعد أن اختاره

---

(١) سورة طه، الآية : ٤١ .

(٢) هذا البيت أنشأه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام محتجاً به على معاوية، ولكن يوجد تقديم وتأخير في الشطر الثاني منه، ولربما هذا سهو من الناسخ، ونحن نورده كما جاء في المصدر، وهو :

سبقتكم إلى الإسلام طراً غلاماً ما بلغت أوان حلمي

وصليت الصلاة وكنت طفلاً مقراً بالنبي في بطن أمي

[الاحتجاج، ج١، ص٤٢٩، احتجاجه عليه السلام على معاوية شعراً . بحار الأنوار، ج٣٣، ص١٣١، ح٤١٧، باب : ١٦] .

وانتجبه من سائر خلقه في عالم الذر الأول، على علم منه به، انفرد عن أبناء جنسه، فليس له فيهم مماثل وخالقه العالم به، لا يختار من يلحقه التظنين فلو وجد في شيء منه ما ينافي شيئاً من مراداته لما جاز له اختياره، وإلّا لكان قد اختار ما يخالف مراده، وقد اختاره في أول بدئه، فيكون في أول بدئه منـــزهاً عن كل ما ينافي مراده بالقوة والفعل من أول بدئه إلى آخره، لأن المستخلف سبحانه حق لا شبهة فيه، فلا يستخلف من فيه شبهة وهو العليم القدير، إلّا من لا يعلم بها، أو لا يقدر عليها من لا شبهة فيه، أو كان في نفسه شبهة، والأحوال الثلاثة منفية عنه ﷻ، فلا يختار من فيه شبهة، كما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته في الغدير والجمعة، في وصف النبي صلى الله عليه وآله بقوله : (فهو أهل ذلك بخاصته وخلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه التظنين) . وقد تقدم[1] .

وقد استدلوا على وجوب عصمة الذين وصفوا بالعصمة من الأنبياء والمرسلين وغيرهم من الأوصياء، أن المكلفين مأمورون باتباع الأنبياء في أفعالهم وأقوالهم، فلو وقع منهم كفر أو ذنب صغير أو كبير لوجب اتباعهم لقوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّـكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[3] وغير ذلك، واتباعهم في هذه الأفعال التي حرمها الله يلزم منه الجمع بين الوجوب والحرمة، وهو غير جائز .

---

(١) راجع الفصل الأول، من الصفحة رقم (٣١) من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٥٨ .

(٣) سورة الحشر، الآية : ٧ .

وأيضاً لو وقع منهم الذنب لكانوا عليهم السلام من حزب الشيطان، لأنهم فعلوا ما أراد الشيطان، وحزب الشيطان هم الخاسرون[1]، ومعلوم أنهم عليهم السلام حزب الله وحزب الله هم المفلحون[2] .

وأيضاً لو صدر منهم كفر أو ذنب لفسقوا، لأن الفسق هو الخروج عن الطاعة، وحينئذ لم تقبل شهادتهم، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3]، ولم يجب قبول قولهم وخبرهم، لقوله تعالى : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[4]، واللازم في الصورتين باطل بالإجماع، ولأن الفائدة في بعثتهم ورسالتهم قبول شهادتهم وخبرهم، فالملزوم مثله .

وأيضاً لو وقع منهم كفر أو ذنب لوجب الإنكار عليهم، لوجوب النهي عن المنكر ووجوب إنكاره، وذلك يستلزم ذمهم وإيذاءهم، وإيذاء الأنبياء عليهم السلام حرام، موجب للعنة الله في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[5] ولو لم يجب الإنكار

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ . [سورة المجادلة، الآية : ١٩] .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . [سورة المجادلة، الآية : ٢٢] .

(٣) سورة النور، الآية : ٤ .

(٤) سورة الحجرات، الآية : ٦ .

(٥) سورة الأحزاب، الآية : ٥٧ .

عليهم عليهم السلام لزم عدم وجوب إنكار المنكر مع القدرة، وهو باطل اتفاقاً .

وأيضاً أنهم عليهم السلام في أعلى درجات الشرف، فلو وقع منهم كفر أو ذنب لوجب أن يضاعف عذابهم، لأن من كان أشرف كان صدور الذنب منه أفحش، كما قال تعالى في شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله : ﴿يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[1] ضعفاً بفعل الفاحشة، وضعفاً بهتك حرمة شرف النبي صلى الله عليه وآله والبعد منه .

وكما ضاعف عقوبة الأحرار لشرفهم على المماليك، لأن حد المملوك نصف حد الحر، قال تعالى : ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ﴾[2]، فيكون أنبياء الله وأحباؤه معذبين بأشد العذاب، وهو باطل اتفاقاً .

وأيضاً لو صدر منهم كفر أو ذنب لم تنلهم النبوة والإمامة، لأنهم إذا وقع منهم ذلك كانوا ظالمين، والظالم لم ينله عهد النبوة والإمامة، لأن رتبة النبوة في أعلى عليين، والظلم في أسفل سافلين، لأن الله سبحانه حين قال لإبراهيم «على محمد وآله وعليه السلام» : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾[3] استعظم درجة الإمامة في نفسه فسألها لذريته، : ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[4] أي واجعل بعض ذريتي إماماً، وإنما أتى بمن الدالة على التبعيض

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٢٥ .

(٣) سورة البقرة، آية : ١٢٤ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ١٢٤ .

لعلمه بأن من ذريته من هو كافر و لم يسأل له الإمامة، وإنما سألها للمؤمنين من ذريته، فأجابه تعالى بأنَّ من وقع منه ذنب وإن كان صغيراً ولو مرة واحدة فإنه يصدق عليه أنه ظالم، وإن كان مؤمناً، وذلك بعيد من مقام الإمامة، لأنها عهدة الحق، وميثاقه الصدق، يعني الصدق معه في كل المواطن، في جميع الأحوال، فجمع له جميع ما أشرنا إليه فقال : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]، فإنَّ من وقع منه الظلم في وقت ما يصدق عليه أنه ظالم لما قرر في الأصول من عدم اشتراط بقاء المعنى المبدأ في صحة الصدق حقيقة، كما هو الصحيح في المسألة .

والظالم بعيد من عهد الإمامة، والإمامة لازمة للنبوة، فكل نبي إمام، فلا يقال إن هذه الآية خاصة بالإمام، ولو قيل بذلك قلنا ففي النبي بطريق أولى، لأن الإمام إذا لم يكن نبياً فهو وصي نبي، ونبيه أفضل، فاعتبار علو الدرجة في النبي أولى منه في وصيه .

هذا بعض ما ذكروا من الأدلة وغيرها كثير من الكتاب العزيز، وسنة النبي صلى الله عليه وآله، وأحاديث أهل بيته المعصومين عليهم السلام، وهي كثيرة لا تكاد تحصى .

ومن الإجماع من الفرقة المحقة، ومن أئمتهم عليهم السلام، ومن دليل العقل منه ما كان من دليل الحكمة[2]، كما أشرنا سابقاً إلى شيء منه في تحقيق بدء

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٢٤ .

(٢) دليل الحكمة هو : (الدليل الذوقي العياني، الذي تلزم منه الضرورة والبداهة) .

المعصوم والعصمة[1] .

ومن دليل الموعظة الحسنة[2] من الكتاب والسنة ما يضيق بذكره الوقت، ومن ذلك مثل قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّآ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3] .

وجه الاستدلال العقلي من دليل الموعظة الحسنة أنه سبحانه أخبرهم بأنَّ من يهدي إلى الحق أولى بالاتباع، ومن فعل الذنب لا يكون هادياً إلى الحق حال معصيته ولا يفعله، أما محل معصيته فلا يقبل منه، ولا تؤثر موعظته في القلوب بل تنكر عليه، وذلك موجب لخلاف دعوته إلى الحق .

وأما بفعله ففعله ذنب، والذنب باطل يدعو إلى الباطل .

وأما في غير تلك الحال فالعقول تجوز عليه حال المعصية، لما فيها من شائبة النفرة، فلا يتم له هدايته إلى الحق، ولو فرض أنها لا تجوز عليه حال

⇦ ومستنده : (الفؤاد والنقل) .

وشرطه : (إنصاف ربك) . [شرح الفوائد، ص٧، (مخطوط)] .

(١) راجع مقدمة المصنف من هذا الكتاب .

(٢) دليل الموعظة الحسنة هو : (آلة لعلم الطريقة، وتهذيب الأخلاق، وعلم اليقين والتقوى) .

ومستنده : (القلب والنقل) .

وشرطه : (إنصاف عقلك) . [شرح الفوائد، ص١٢، (مخطوط)] .

(٣) سورة يونس، الآية : ٣٥ .

الطاعة حال المعصية لم يستحق أحقية الاتباع المطلق المستمرة، التي هي المراد في الآية الشريفة .

ولو فرض الاستحقاق، والحال هذه في الجملة أو بقول مطلق لم يكن في الاستحقاق للاتباع، مثل من لم يقع منه ذنب مطلقاً .

فإذا كان الاتباع إنما هو للهداية للحق والصواب الموجبة للنجاة من عذاب الله وسخطه، وجب في العقل اتباع من لم يجوز عليه العقل شيئاً من المعاصي، للقطع بحصول النجاة في اتباعه، دون من وقع منه الذنب، لعدم القطع بحصول النجاة في اتباعه .

فأخبر سبحانه عباده من حيث يعقلون نصحاً وموعظة وإرشاداً لهم، إلى ما فيه نجاتهم من عذابه، ومن يعمل بما أتاه الله من التمييز والعقل لا يختار المظنون، ويترك المعلوم الذي قطع به عقله، فافهم فإنّ هذا من دليل الموعظة الحسنة .

ومن دليل المجادلة بالتي هي أحسن[1] كثيرة لا يكاد يحصى، وقد ذكر منه العلامة الحسن بن المطهر[2] «قدس الله روحه، ونور ضريحه في كتابه

---

(١) دليل المجادلة بالتي هي أحسن هو : (آلة لعلم الشريعة) .
ومستنده : (العلم والنقل) .
وشرطه : (إنصاف الخصم) . [شرح الفوائد، ص١٤، (مخطوط)] .

(٢) العلامة هو : (الشيخ الإمام جمال الدين أبو منصور الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي ابن المطهر الحلي، ولد سنة : «٦٤٨هـ»، توفي سنة

⇦

الألفين» ألفي دليل من أدلة العقل المستنبطة من الكتاب، من أدلة المجادلة بالتي هي أحسن .

وهذه الأنواع الثلاثة من الأدلة العقلية غير النقلية، وهي التي أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يدعو إلى سبيله بها، فقال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] . وهذه الثلاثة هي المرادة بتأويل قوله تعالى في حق من يجادل في الله بغير هذه الأدلة الثلاثة ليضل عن سبيل الله، أي يصرف الناس عن ولي الله وولايته، ويدعوهم إلى نفسه، قد لبس ثياب النسك بالدعوى بلا حقيقة ولا معنى، وهو قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۞ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾[2]، فتفهم تفهم .

⇦ «٧٢٦هـ» . [وله] في كل علم كتاباً، وآتاه الله من كل شيء سبباً) . [الكنى والألقاب، ج٢، ص٤٧٧] .

(١) سورة النحل، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة الحج، الآيتان : ٨-٩ .

فصل

[اتفاق الجمهور على عصمة الأنبياء عليهم السلام]

واتفق الجمهور بالقول الصريح على عصمة الأنبياء عليهم السلام؛ من الكفر ومن المعاصي الكبائر بعد الوحي، وقال فضل بن روزبهان في كتابه الذي وضعه في الرد على الإمام العلامة الحلي[1] «قدس الله روحه، ونور ضريحه» في «نهج الصدق وكشف الحق» قال: (ثم اعلم أن تحقيق هذا البحث يرجع إلى تحقيق معنى العصمة، وهي عند الأشاعرة على ما يقتضيه أصلهم من استناد الأشياء كلها إلى الفاعل المختار ابتداء،، ألا يخلق الله فيهم ذنباً، فعلى هذا يكون الأنبياء معصومين من الكفر والكبائر والصغائر، الدالة على الخسة والرذالة، وأما غيرها من الصغائر فإنهم يقولون لا تجب عصمتهم عنها، لأنها مغفورة بنص الكتاب من تارك الكبيرة، : ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ

(١) راجع ترجمته في الصفحة رقم (٦٠) من هذا الكتاب.

وَأَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾[1].

دلت الآية على أنَّ مجتنب الكبيرة مغفور ما صدر من الصغائر عنه، وفي الآية إشارة إلى أنَّ الإنسان لما خلق من الأرض ونشأ منها، فلا يخلو عن الكدورات الترابية، التي تقتضي الذنب والغفلة، فكان بعض الذنوب تصدر بحسب مقتضى الطبع، ولما لم يكن خلاف ملكة العصمة فلا مؤاخذة به ...) .

أقول : إنَّ تعريف الأشاعرة للعصمة مصرح بعدم صدور الصغيرة من المعصوم[2]، لأن (ذنباً) في التعريف نكرة في سياق النفي، فتقتضي العموم، فاستثناؤه للصغيرة مناقض لمذهبه، ودعوى المراد لا تدفع الإيراد، لأن الصغيرة ذنب بالاتفاق، وصدورها من المعصوم عندهم إنما هو بخلق الله تعالى لها فيه، فإن اعترف بخلق الله لها فيها انتقض تعريفه، وإن نسب صدورها إلى المعصوم أو إلى مقتضى الكدورات الترابية، أو الطبع انتقض أصله، وكونها مغفورة فرع ثبوتها عليهم ومخلوقيتها، ويأتي ما قلنا .

وقوله : (لما لمن يكن خلاف ملكة العصمة، فلا مؤاخذة به) غلط من وجوه :

الأول : (إنَّ العصمة عنده ألا يخلق الله في المعصوم ذنباً)، وهكذا لا يكون ملكة، لأن الملكة طبيعة وقوة تصدر عنها الأفعال، وهذا مناف

---

(١) سورة النجم، الآية : ٣٢ .

(٢) راجع تعريف هذه الفرقة وتعريفهم للعصمة في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

لاعتقاده، لأنها إن لم يصدر عنها شيء من الأفعال فليست ملكة، وإن صدر عنها شيء كان في الوجود مؤثر غير الله، وكلا الفرضين مخالف لاعتقاده .

الثاني : (إنَّ العصمة عنده ألا يخلق الله ذنباً)، ووقوع الصغيرة معناه عنده أن الله خلق ذنباً، فوقوع الصغيرة مانع عنده من تحقق العصمة، وتحقق العصمة مانع من صدور الصغيرة، وهذا لازم على قوله .

الثالث : أنَّ قوله : (فلا مؤاخذة به)، يلزم منه أنه لا فرق بين المعصوم وبين مجتنب الكبائر، وإن لم يكن معصوماً، لأن العفو عن الصغيرة إنما هو لاجتناب الكبائر، ولا فرق بين العصمة واجتناب الكبائر، فلا فرق بين الأنبياء وغيرهم، لأن الاجتناب عنده ألا يخلق الله في المجتنب ذنباً، فإثباته للعصمة للأنبياء لغو لا فائدة فيه، إذ لا اختصاص للأنبياء بهذا المعنى دون غيرهم؛ لأن الأنبياء إن دخلوا في جملة المجتنبين مطلقاً فالعفو للاجتناب، وإن لم يدخلوا فلا عفو، فأي معنى يثبته للعصمة غير الاجتناب المذكور الذي لم يختص به المعصوم .

فقوله : (لما لم يكن ... إلخ) لا يجديه نفعاً، بل تركه أسلم لاعتقاده ولدليله .

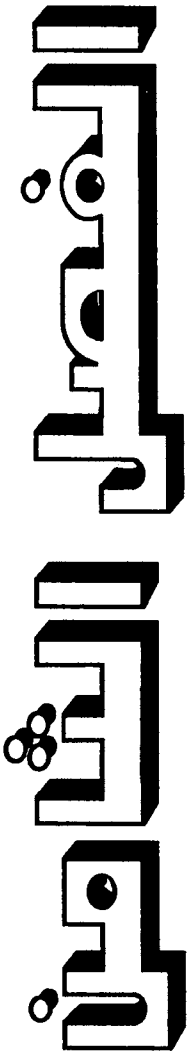

فصل

[قول الإمامية في عصمة الأنبياء عليهم السلام]

مذهب الإمامية[1] : تنـــزيه الأنبياء عن كل ما يكره الله قبل البعثة وبعدها، اختياراً واضطراراً، عمداً وسهواً، وهو مما لا خلاف فيه .

وأما فضل ابن روزبهان فوضع كتابه على محض المعارضة من غير ثبت، ودعواه على الإمامية أنهم يجوزون على الأنبياء إيقاع الكفر تقية افتراء، إذ لم يقل به أحد منهم، ولـــم ينقل أحد عن أحد منهم، بل صريح كلام مخالفيهم نسبة نفي الكفر وغيره من الذنوب الكبائر والصغائر مطلقاً عن الأنبياء، إلى الإمامية خـــاصة قبل النبوة ومعها وبعدها، كما ذكره البدخشي في بحث الأفعال من شرح منهـــاج الأصول، حيث قال : (الأكثر من المحققين على أنه لا يمتنع عقلاً قبل النبوة ذنب من كبيرة أو صغيرة، خلافاً للروافض مطلقاً، وللمعتزلة

---

(١) راجع في تعريف هذه الفرقة هامش رقم (١) من الصفحة رقم (٥٣) من هذا الكتاب .

في الكبائر، ولا خلاف لأحد في امتناع الكفر عليهم، إلّا الفضلية من الخوارج، بناء على أصلهم من أن كل معصية كفر، وقد قال الله تعالى : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾[1]. وجوز البعض عليهم عند خوف تلف المهجة إظهار الكفر .

وأما بعد النبوة فالإجماع على عصمتهم في تعمد الكذب في الأحكام، لدلالة المعجزة على صدقهم، وأما الكذب غلطاً فجوزه القاضي، ومنعه الباقون ... إلخ) .

فذكر أن من جوز على الأنبياء الكفر خوفاً جماعة غير الشيعة[2] لأنه ذكر أنّ الشيعة مانعون مطلقاً في قوله : (خلافاً للروافض مطلقاً) .

وذكر الشهرستاني[3] في الملل والنحل، إنّ من بدع الأزارقة أصحاب أبي راشد، نافع بن الأزرق من الخوارج[4]، أنهم جوزوا : (أن يبعث الله تعالى

---

(١) سورة طه، الآية : ١٢١ .

(٢) الشيعة هم : (الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده عليهم السلام) . [الملل والنحل، ص٦٣، فصل : ٦] .

(٣) الشهرستاني هو : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، ولد بشهرستان سنة : ٤٧٩هـ، وتوفي سنة : ٥٤٨هـ، وله مصنفات كثيرة) . [راجع كتابه الملل والنحل، الصفحة الأولى] .

(٤) الخوارج هي : (كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، ⇦

نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل البعثة .

والكبائر والصغائر إذا كانت بمثابة عنده فهي كفر، وفي الأمة من جوز الكبائر والصغائر على الأنبياء عليهم السلام فهي كفر)[1] .

وقال ابن فورك[2] من الأشاعرة : (تجوز بعثة من كان كافراً)[3] .

وفي شرح الطوالع : (اتفقوا على عصمة الأنبياء من الكفر والمعاصي بعد الوحي، والفضلية من الخوارج جوزوا من الأنبياء المعاصي، واعتقدوا أن كل معصية كفر، وجوزوا على الأنبياء الكفر، ومن الناس من لم يجوز الكفر على الأنبياء، لكنهم جوزوا إظهار الكفر تقية بل أوجبوه، لأن إظهار الإسلام إذا كان مفضياً إلى القتل كان إلقاء للنفس إلى التهلكة، وإلقـــاء النفس إلى التهلكة حرام، لقوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

⇦ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان) . [الملل والنحل، ص٥٠، فصل : ٤]

(١) الملل والنحل، ص٥٣، فصل : ٤ البدعة السابعة من بدع الأزارقة .

(٢) ابن فُورَك هو : (الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فُورَك الاصبهاني، المتكلم الأديب الواعظ، أقام بالعراق مدة يدرس العلم، ثم توجه إلى الري، والتمس منه أهل نيسابور التوجه إليهم ففعل، توفي سنة : ٤٤٦هـــ، ودفن في نيسابور في الحيرة) . [الكنى والألقاب، ج١، ص٣٨٠] .

(٣) الصراط المستقيم، ج١، ص٥٠، فصل : ٤ في عصمة الأنبياء . شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٩، الفصل الأول .

التَّهْلُكَةِ﴾[1]، وإذا كان إظهار الإسلام حراماً كان إظهار الكفر واجباً .

ومنع بأنه لو جاز إظهار الكفر تقية لكان أولى الأوقات به وقت ظهور الدعوة، لأن الناس في ذلك الوقت بالكلية منكرون، فكان لا يجوز إظهار الدعوة لأحد من الأنبياء، فيؤدي إلى إخفاء الدين بالكلية .

والحشوية لم يجوزوا الكفر ولا إظهاره، وجوزوا الإقدام على الكبائر، وقوم منعوا أن تتعمد الأنبياء الكبيرة، وجوزوا تعمد الصغائر، وأصحابنا منعوا الكبائر مطلقاً، سواء كان عمداً وسهواً، وجوزوا الصغائر سهواً لا عمداً ...) .

أقول : إذا نظرت إلى أقوال المخالفين من الأشاعرة[2]، والمعتزلة[3]، والخوارج[4] وغيرهم، عرفت أنهم مخالفون للإمامية[5]، لأنَّ الإمامية

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٩٥ .

(٢) راجع تعريف هذه الفرقة هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

(٣) المعتزلة هي : (فرقة ظهرت [أيام] خلافة الإمام علي عليه السلام، حيث امتنعوا عن بيعة الإمام علي عليه السلام عام : (٣٥ هـ)، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، و... فسمي هؤلاء معتزلة لاعتزالهم عن بيعته) . [تاريخ الفرق الإسلامية، ص١٣٠] .

(٤) راجع تعريف هذه الفرقة هامش رقم (٤) في الصفحة رقم (٦٨) من هذا الكتاب .

(٥) راجع تعريف هذه الفرقة هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٥٣) من هذا الكتاب .

طريقتهم واعتقادهم من هذا المسألة كما هو مسموع من أقوالهم، ومذكـــور في كتبهم من الأولين والآخرين، ونقله عنهم المخالف لهم والمؤالف، أنه يمتنع صدور الكفر وجميع المعاصي الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، اختياراً واضطراراً، عمداً وسهواً، ونسياناً من جميع الأنبياء، ومن نقل عنهم خلاف هذا فهو مفتر مباهت .

وأما سائر مخالفيهم فكما سمعت، فمنهم من منع الكفر بعد البعثة .

ومنهم من أجازه بعدها وقبلها .

ومنهم من جوز الصغائر بعدها، أو ما لا خسة فيه، كسرقة حبة ولقمة .

ومنهم من جوز مطلق الذنوب .

وما تقدم من الأدلة ينفي جميع ما ذكره المخالفون، لمنافاة الذنب للعصمة كما تقرر سابقاً[1]، لا فرق بين الصغيرة والكبيرة .

وقول فضل بن روزبهان في كتابه المذكور بعدما نقلنا عنه سابقاً، حين ذكـــر حد العصمة للحكماء[2] فقال : (وأما العصمة عند الحكماء فهي : ملكة تمنع الفجور، وتحصل هذه ابتداء بالعلم بمثالب المعاصي، ومناقب الطاعات، وتتأكد في الأنبياء بتتابع الوحي إليهم، بالأوامر الداعية

---

(١) راجع الفصل الأول، الصفحة رقم (٢٩) من هذا الكتاب .

(٢) راجع الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

إلى ما ينبغي، والنواهي الزاجرة عما لا ينبغي، ولا اعتراض على ما يصدر من الصغائـــر سهواً وعمداً، عند من يجوز تعمدها من تـــرك الأولى والأفضل، فإنها لا تمنع العصمة التي هي الملكة، فإنَّ الصفات النفسانية تكون في ابتداء حصولها أحوالاً، ثم تصير ملكات بالتدريج ...إلخ) .

وقوله : (ولا اعتراض ... إلخ) فيه : أنَّ الاعتراض بل المنع قائم، فإنَّ تفسيره الصغائر بترك الأولى غلط، إذ المعروف من الصغائر المحرمات لا المكروهات الإرشادية والتنـــزيهية، والصفات النفسانية إذا استقرت حتى كانت ملكات، فإنَّ كانت في الابتداء تنـــزيهية، فإنَّ تعقبها العفو لم يستقر، فلا تكون ملكات، وإن استقرت بترادفها كانت محرمة تنافي العصمة، كما قررنا سابقاً، وإن كانت في الابتداء صغائر محرمات فإنها تنافي العصمة وإن تعقبها العفو كما ذكرنا سابقاً، وأن يتعقبها العفو وتكررت ولو بالعزم على العفو فهي كبيرة، منافية للعصمة .

ولما كان ترك الأولى قد يقع من المعصوم، لم يمهل الله تعالى معاتبته عليها، ليندم على فعله، فيمحى عنه لئلا يترادف فيكون محرماً منافياً للعصمة، فإنه قبل الترادف غير منافٍ لها، لأنها كدورة بشرية قد تعرض للمعصوم بتخلية الله له ليعاتب عليها، فينكسر ويخضع، فيرفع الله تعالى بذلك على نحو ما ذكرنا سابقاً[1]، لأنه ﷻ عادته التردد في قبض روح عبده المؤمن، على أنحاء شتى، فيؤدب المؤمنين بما يمكن في حقهم من قوله

---

(١) راجع الصفحة رقم (٤٧) من هذا الكتاب .

عليه السلام : (لو لا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً لكي يذنبوا ثم يستغفروا ويغفر لهم)[1]، وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ...﴾[2] .

ويؤدب المعصومين بما يمكن في حقهم بترك الأولى، والجائز الترك ليرفع درجتهم، من قوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا ...﴾[3] .

ولما كان المخالفون خطؤوا واختلفت عباراتهم وأقوالهم، فإذا عبروا عما عندهم من الاعتقاد انتقض بالدليل، فإذا ناقضه الدليل سلكوا الجمع بين قولهم واعتقادهم .

وكان بعض الأشاعرة[4] إذا نقض عليهم بعض دعواهم تجويز المعاصي والكفر من بعضهم، وسائر الذنوب قبل الوحي، وتجويز الصغائر بعد الوحي، ومثل ما نقل في «شرح منهاج الأصول» ادعى خلاف ذلك، كما نقلته من عبارة بعضهم في أول هذا الفصل بقولي : واتفق الجمهور بالقول الصريح.

---

(١) راجع هامش رقم (١) من الصفحة رقم (٤٨) من هذا الكتاب .

(٢) سورة الشورى، الآية : ٣٠ .

(٣) سورة الحديد، الآية : ٢٢ .

(٤) راجع تعريف هذه الفرقة هامش رقم (١) من الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

وقولي : (بالقول الصريح) : أريد به أنّ هذا القائل قد يقول بهذا، أعني دعوى الاتفاق، ويأتي في خلال كلامه بما ينافي تصريحه أولاً .

فصل
[مناقشة قول الغزالي في العصمة]

ذكر الغزالي[1] مثل ما قال ابن فورك[2]، قال الغزالي في بحث أفعال الرسول من كتابه المسمى «بالمنحول في الأصول» : (والمختار ما ذكره القاضي، وهو أنه لا يجب عقلاً عصمتهم، إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظره، وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة، فإنّ مدلوله صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى، لا عمداً ولا سهواً، ومعنى التنفير باطل، فإنَّا نجوّز أن نبئ الله تعالى كافراً يؤيده بالمعجزة ...)[3] .

---

(١) الغزالي هو : (أبو حـــامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد المـــلقب حجة الإسلام الطوسي الفقيه الشافعي، وكان مائلاً إلى الانفراد والعزلة، توفي عام : «٥٢٠ هـــ») . [الكنى والألقاب، ج٢، ص٤٩٢] .

(٢) راجـــع ترجمته هامش رقم (٢) من الصفحة رقم (٦٩) من هذا الكتاب .

(٣) هامش نهج الحق وكشف الصـــدق، ص١٤٢، المبحث الثاني : عصمة الأنبياء .

قوله : (إذ لا يستبان استحالة وقوعه ... إلخ)، إن أراد استبانة موافقة للحكمة، ومنطوق الكتاب فهو باطل، وإن أراد استبانة ولو مخالفة للحكمة ولمنطوق الكتاب فهو كما قال، ولكن المدعى استبانة موافقة للحكمة والكتاب .

أما استحالة وقوعه بضرورة العقل فلأنّ وقوعه إنما يجوز من المحتاج، أو الجاهل، أو العاجز، لأن وقوعه خلاف الحسن والكمال من الغني المطلق، والعالم المطلق، والقادر كذلك، ولا يصير الغني العالم القادر إلى خلاف الحسن والكمال بالضرورة، لأنه نقص بحكم العقل بضرورته، بعدم وقوعه من الغني العالم القادر .

وأما استحالة وقوعه بنظر العقل فإنّ ما فيه احتمال منافاة الغرض، ولو في وقت ما لا يصير إليه الغني العالم القادر، لأن حصول الغرض من البعثة وإقامة الحجة البالغة، بما لا يحتمل منافاة الغرض في حال من الأحوال، تام كامل حسن على أكمل وجه، لموافقة اللطيف بعباده الغني القادر العليم، ولا ريب أنه أتم في غرض الفاعل المختار وأكمل، وما سواه، ويحتمل المنافاة ناقص قد يفوت الغرض الذي لأجله بعث أنبياءه والرسل .

ومن لم يكن لاعباً ولا عابثاً لا يصير إلى الناقص مع كونه مرجوحاً بلا مرجح، إلّا احتمال القلوب المنكوسة، لأن احتمال وقوعه ولو على خلاف الأصلح، ولو كان مفوتاً للغرض الذي لأجله وقع الفعل، لأجل ملاحظة اعتقاد أنه يفعل لا للأصلح، وإنّ أفعاله غير معللة بالأغراض، وإنه لا يقبح أنه شيء وما أشبه ذلك من الوساوس الباطلة المخالفة للكتاب

والسنة وللعقول، لأنه كثيراً ما يثني على نفسه بالاتصاف بالصفات الجميلة، بالتنـــزه عن الاتصاف بالصفات القبيحة؛ كالظلم والعجلة، والصنع بغير فائدة، واللعب والعبث، فإذا كان لا يفعل للأصلح فلِمَ أثنى على نفسه بفعل الأصلح، فقال : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[1]، وقال : ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2] .

وإذا كانت أفعاله غير معللة بالأغراض فلِمْ عللها في كتابه في كل موضع، وذم من ظن خلاف ذلك، فقال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[3]، وقال : ﴿لَاعِبِينَ﴾[4]، وقال : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[5] .

وإذا كان لا يقبح منه شيء فلم لم يصف نفسه بالظلم، والجهل، والعجز، والكذب، وهي حسنة بالنسبة إليه .

فإن قلت : وإن كانت حسنة بالنسبة إليه إلَّا أنها قبيحة بالنسبة إلينا .

قلت : إذا كان بملاحظة النسبة إلينا ترك وصف نفسه بما يجوز بالنسبة إليه ولا يقبح، فيجب أن يترك ما يفعل بنا مما يقبح بالنسبة إلينا،

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٥ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٦٨ .

(٣) سورة الدخان، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة الدخان، الآية : ٣٨ .

(٥) سورة المؤمنون، الآية : ١١٥ .

وإن حسن بالنسبة إليه بالطريق الأولى .

وأما استحالة وقوعه بمنطوق الكتاب فلما تقدم من جوابه تعالى لإبراهيم «على محمد وآله وعليه السلام» حين سأل أن يجعل ذريته المؤمنين أئمة[1]، من قوله تعالى : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2]، فلو جاز موافقاً للحكمة والغنى والعلم والقدرة، لما رد دعاء خليله، مع إجابته في ذريته المتقين، «صلى الله عليهم أجمعين» .

وقوله : (وليس مناقضاً لمدلول المعجزة، فإنَّ مدلوله صدق اللهجة فيما يخبر عن الله... إلخ)، فيه : إنَّ المعجزة إنما هي شهادة تصديقه في كل ما يقول ويفعل، فإنه لا يقول ولا يفعل إلَّا بأمر من الله تعالى، قال الله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[3]، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[4] .

ولا يخصص بالقرآن وبما يقول، بل هو شامل لجميع أقواله وأحواله، وأعماله وأفعاله ﷺ، لقوله تعالى : ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[5] . وقال تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[6] .

---

(١) راجع الصفحة رقم (٥٧) من هذا الكتاب .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٢٤ .

(٣) سورة النجم، الآيتان : ٣ - ٤ .

(٤) سورة الحاقة، الآية : ٤٤ .

(٥) سورة الحشر، الآية : ٧ .

(٦) سورة الأعراف، الآية : ١٥٨ .

وقد تقدم في استدلال الإمامية أنه لو وقع من النبي ﷺ ذنب لوجب الأخذ به، فيكون واجباً حراماً، وقد استدل المخالفون كلهم بتلك الأدلة .

وأما تخصيصها بما بعد النبوة، أو في غير الصغائر، فشيء لم يرجع إلى الدليل، وإنما يرجع إلى شهوات النفوس، وإلى الأغراض ودفاعاً عمن يقتدون بهم، مع مقارفتهم للمعاصي، ولا يخفى شيء منها على طالب الحق، ولله در الشاعر ما أنسب ما قال بهذا المقام :

ثـــوب الـــرياء يشف عما تحته فـــإذا التحفت به فإنك عاري

فمدلول المعجزة إنما هو الشهادة بالتصديق المطلق، واستخلاف الحق تعالى، فالتجويز على الخليفة تجويز على المستخلف .

ومعنى قوله : (لا عمداً ولا سهواً) : أنَّ ما سوى الأخبار عن الله تعالى يجوز منه كل شيء، من الذنوب والمعاصي عمداً وسهواً، وهو حكم على الله تعالى، وعلى رسله بما هو من سنخ طينته، وشهادة على الله ورسله بذلك، تعالى الله علواً كبيراً، وهو سبحانه سيجزيهم وصفهم أنه حكيم عليه .

وقوله : (ومعنى التنفير باطل) : مطابق لما هو عليه من الاعتقاد من عدم تنفير القبائح، ومن استحسانهم في الأصول والفروع، كما هو مذكور في محله، وإلَّا فإنَّ العقول تقطع بأنَّ الاطمئنان التام الذي لا يكون معه اضطراب بحيث ينحصر فيه قيام حجج الله على عباده، حق على أن لا تكون لمحتج حجة، ولا لمعتذر عذر، وهو معنى الحجة البالغة، لا يحصل إلَّا

مع القول بالعصمة، [على] ما قرره الإمامية خاصة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[1] .

فإن قيل أنَّ استعقاب بعض الذنوب للعفو ينفي النفرة أو احتمالها، أو عدم الاطمئنان، لأن من وقع منه الذنب ثم تاب أو غفر له كمن لا ذنب له[2]، بل روي أنه أفضل ممن لا يذنب .

قلنا لا نسلم أنَّ ذلك ينفي النفرة، وإن كان أفضل من جهة انكسار المعصية والندم، لأن المساواة أو الأفضلية إنما هو من أمور الآخرة في الثواب، وهي شيء يرجع إلى المجازاة، وذلك غير ما يعتبر في التبليغ والأداء، وقبول التكاليف، لأن المعتبر في التبليغ والأداء، والقبول من المبلغ إنما هو حصول القطع بالصدق عن الله تعالى، ولا يجب في كل حال إلَّا ممن حصل القطع بعدم وقوع تقصير منه، لأن تجويز الكذب إنما يثبت في حق من يجوز منه تقصير، وإن كان قليلاً ونادراً، لأن الكذب منه، وأما من لم يصدر منه تقصير فلم يتصور منه الكذب، فتطمئن به النفوس بخلاف الأول، فلا تنتفي منه النفرة بالكلية بخلاف الثاني .

---

(١) مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ . [سورة الكهف، الآية : ٢٩]

(٢) عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ : (سَمِعْتُهُ يَقُولُ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَالْمُقِيمُ عَلَى الذَّنْبِ وَهُوَ مُسْتَغْفِرٌ مِنْهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ ...) . [أصول الكافي، ج٢، ص٤٣٥، ح١٠، باب : التوبة . بحار الأنوار، ج٦، ص٤١، ح٧٥، باب : ٢٠ . وسائل الشيعة، ج١٦، ص٧٤، باب : ٨٦] .

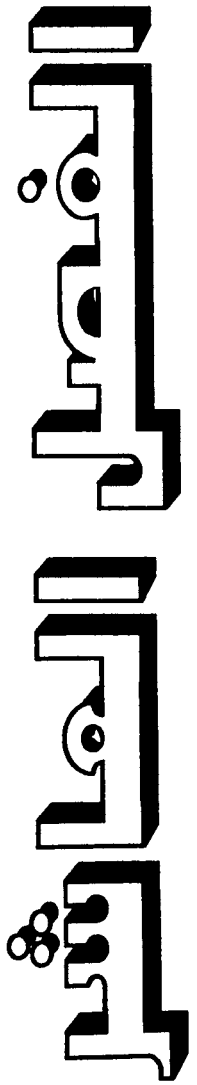

فصل

[مناقشة من جَوَّز وقوع المعاصي من الأنبياء عليهم السلام]

قال المخالفون في عصمة الأنبياء المجوزون لوقوع المعاصي منهم عليهم السلام مثل قول فضل بن روزبهان في كتابه : (إنَّ الأنبياء مكلفون بترك الذنوب، مثابون به، ولو كان الذنب ممتنعاً عنهم لما كان الأمر كذلك، إذ لا تكليف بترك الممتنع، ولا ثواب عليه أيضاً، فقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1] يدل على مماثلتهم لسائر الناس، فيما يرجع إلى البشرية والامتياز بالوحي لا غير، فلا يمتنع صدور الذنب عنهم، كما في سائر البشر، هذا حقيقة مذهب الأشاعرة[2]، ومن تأمل فيه علم أنه الحق الصريح، المطابق للعقل والنقل) . انتهى كلامه .

---

(١) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

(٢) راجع تعريف هذه الفرقة الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

أقول : قد تقدم ذكر الإشارة إلى جواب هذا التوهم في تعريف العصمة للعدلية، في قولهم : (غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى ذلك اللطف، وإلّا لم يكن مكلفاً، و لم يستحق مدحاً ولا ثواباً)[1] .

والمراد أنّ الأنبياء كلهم مكلفون كغيرهم من سائر الناس، وليس صدور المعصية شرطاً في جواز التكليف بتركها، إذ يجوز تكليف العبد بترك المعصية إذا كان متمكناً من فعلها وإن لم تقع منه، لأن التمكن من فعل المعصية شرط في التمكن من الطاعة، فإنّ الطاعة ما تتحقق حتى يتمكن من تركها، الذي هو المعصية، فإذا تمكن من المعصية وتركها باختياره مع القدرة عليها وفعل الطاعة كان مطيعاً، ولو لم يقدر على المعصية لم يكن قادراً على الطاعة، فشرط التكليف التمكن من المعصية، والقدرة عليها لا صدروها منه .

ومرادنا بقولنا : (أنّ مقتضى العصمة أنه يمتنع منه وقوع المعصية) : أنه لا يفعلها ولا يميل إليها مع قدرته على ذلك، لا أنه يمتنع منه الامتناع العقلي، ألا تسمع إلى قولنا المتقدم : (إنّ العصمة تستلزم سلب الداعي الذي هو الميل والإرادة، لا سلب القدرة معه)[2] .

فإن قلت : إنّ المخالفين لكم إنما يدّعون جواز صدور الذنب من المعصوم، وقولكم هذا يوافقهم .

---

(١) راجع مقدمة المصنف في الصفحة رقم (٢٤) من هذا الكتاب .

(٢) راجع مقدمة المصنف في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

قلت : نحن لا نقول بامتناع الذنب من المعصوم عدم الإمكان العقلي، ولم يقل به أحد ممن له أدنى معرفة، وإنما نقول المعصوم يمتنع منه وقوع الذنب حال كونه معصوماً، فلو وقع منه ذنب لم نحكم بامتناع صدوره من ذلك المكلف امتناعاً عقلياً، وإنما حكم بأنّه حينئذٍ ليس بمعصوم، إذ لا عصمة إلّا من وقوعه، فإذا وقع فلا عصمة، وتعريفكم يُصَدِّق قولنا هذا ويكذب قولكم، بجواز صدور الذنب من المعصوم، لأن تعريفكم : (ألّا يخلق الله في المعصوم ذنباً)، وهذا لا يجتمع مع صدور الذنب، كما ذكرنا سابقاً[1]، فلأن صدور الذنب ليس إلّا أنّ الله تعالى خلقه في المعصوم كما تزعمون، وكونه مخلوقاً في المعصوم ينافي العصمة التي هي عندكم، ألا يخلق في المعصوم ذنباً .

وقوله : (إذ لا تكليف بالممتنع ينافي اعتقادكم) : فإنكم تقولون يجوز التكليف بالمحال وبما لا يطاق، لأنكم قلتم أنّ الله سبحانه علم أنّ أبا لهب لم يؤمن، فوقوع الإيمان منه ممتنع، وإلّا لانقلب علم الله جهلاً، مع أنه كلفه بالإيمان، فبحكم المعارضة نقول أنه لا بأس عندكم بالتكليف بالممتنع، مع أنا أجبنا عن معنى قولنا : (يمتنع)، فإنكم لم تفسروا بمرادنا منه، وأنتم تعلمون مرادنا منه، لأنا نقول في تعريف العصمة : (غير سالب للقدرة) .

---

(١) راجع مقدمة المصنف في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

وأما قوله : (وأيضاً، فقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1]، يدل على مماثلتهم لسائر الناس، فيما يرجع إلى البشرية والامتياز بالوحي) .

جوابه : أنّا نقول : إنّ المعصوم إذا جعلتموه مماثلاً لسائر الناس، قلتم فيما يرجع إلى البشرية، لأن هذا القيد لا يلائم قولكم والامتياز بالوحي، وإنما يلائمه لو قلتم هو في جميع ذاتياته وأحواله مماثل لسائر الناس، فعلى هذا الملائم لِم لا يقع منه الكفر، ولو بعد الوحي، إذ مانع له منه، وإن جعلتم الوحي مانعاً من الكفر، فهو مانع من غيره، فلم لم تسموه عصمة، فيلزم أنه لا يماثل سائر الناس، وعلى قوله غير الملائم إن انحصرت المماثلة في البشرية كان ما سواها كافياً في المقارفة، وفي المنع من الذنوب كلها، مع أنّ مقتضى البشرية جواز وقوع الكفر والمعاصي، ما لم يحصل مانع منها، وليس إلّا العصمة والوحي .

فإن تكفّلا بالمنع أو أحدهما، وإلّا فلا فرق بين المعصوم وبين الأعرابي المتهتك البوّال على عقبيه، وإن صح حصر المماثلة في البشرية على الفرضين فلا ينحصر الامتياز في الوحي، بل بالعصمة يحصل الامتياز أولى من حصوله بالوحي، فإنها شرط لوحي التبليغ والأداء والتلقي، لا مطلق الوحي، فإنّ الامتياز لا يحصل به، إذ جميع الخلق يأتيهم من الله سبحانه وحي ما خصوصاً على مذهبه، فإنّ العبد لا يقدر أن يتكلم، أو يتحرك، أو يسكن، إلّا بوحي من الله إليه، ولهذا يـــروون عن شيخهم شيخ صوفيتهم ابن عطاء

---

(١) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

الله[1] في مناجاته قال : (أم كيف أترجم بمقالي وهو منك برز إليك) .

وقوله : (فلا يمنع صدور الذنب عنهم كما في سائر البشر) : يلزم منه تجويز الكفر والكبائر عليهم بعد النبوة، كما هو مذهب الأزارقة من الخوارج الذي نقلناه عنهم سابقاً[2]، فإنهم يجوزون أن يبعث الله تعالى نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، وذلك لأن سائر البشر يجوز صدور الكفر منهم، في جميع مدد أعمارهم .

وقوله : (هذا حقيقة مذهب الأشاعرة) صحيح لا شك فيه .

وقوله : (ومن تأمل فيه علم أنه الحق الصريح، المطابق للعقل والنقل) .

أقول : إنَّ من تأمل فيه على ما تقتضيه عقولهم من الجمود على قاعدتهم وأصلهم، من تصحيح ما ليس بصحيح، حفظاً لاعتبارهم، وتستراً من أغيارهم، فكما قاله لأن عادتهم يبحثون في الاعتقادات على ما يقتضيه المذهب، لا على ما يقتضيه الحق كما هو الواقع، وإن تأمل فيه على مقتضى الإنصاف وترك الاعتساف، علم أنه كسراب بقيعة يحسبه

---

(١) ابن عطاء هو : (تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الشافعي، كان جامعاً لأنواع العلوم، وكان أعجوبة زمانه، استوطن القاهرة يعظ الناس ويرشدهم، توفي سنة : «٧٠٩ هـ») . [الكنى والألقاب، ج١، ص٣٥٧] .

(٢) راجع الصفحة رقم (٦٨) من هذا الكتاب .

الظمآن ماءاً[1] .

وإذا أردت أن تعرف صدق قولي هذا فتأمل فيما كتبت في الدليل والرد عليهم .

---

(١) مقتبس من قول تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً...﴾ . [سورة النور، الآية : ٣٩] .

فصل
[الرد على أدلة من جوَّز وقوع المعاصي من الأنبياء عليهم السلام]

اعلم أنَّ القائلين بجواز صدور الذنب عن الأنبياء عارضوا أدلة المانعين من وجوه :

[الدليل] الأول : قوله تعالى لنبيه : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾[1] فإنها تدل على جواز صدور الذنب عن النبي صلى الله عليه وآله، لأن العفو إنما يرد بعد تحقق الذنب .

والجواب : هو أنَّ هذا يستعمل من لطيف المعاتبة، وإن كان العتاب على فعل جائز، مثل المراد في هذه الآية، وليس للعفو متعلق إلَّا التلطف في العتاب، لأنه يقول له : لو أذنت لهم في القعود لتبين لك الصادقين من الكاذبين؛ يعني لتعرف من يقعد عن عذر، وعن غير عذر، وهو إرشاد له لأجل استبصاره بهم وليس ذنباً، وإنما قصاراه أن يكون ترك الأولى .

---

(١) سورة التوبة، الآية : ٤٣ .

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن الباقر عليه السلام يقول : (تعرف أهل الغدر والذين جلسوا بغير عذر)[1] .

وقال الطبرسي في جامع الجوامع : (هذا من لطيف المعاتبة، بدؤه بالعفو قبل العتاب، ويجوز العتاب من الله فيما غيره منه أولى لا سيما للأنبياء، وليس كما قاله جار الله : من أنه كناية عن الجناية، وحاشى سيد الأنبياء وخير بني آدم من أن تنسب إليه الجناية)[2] .

وعن الرضا كما في عيون الأخبار في جواب ما سئله المأمون من عصمة الأنبياء : (هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله تعالى بذلك نبيه، وأراد به أمته)[3] . وكانوا يستعملون هذا اللفظ من غير

---

(١) تفسير القمي، ج١، ص٢٩٣، سورة التوبة، آية : ٤٣ . بحار الأنوار، ج١٧، ص٨٢، ح٥، باب : ١٥ . تفسير البرهان، ج٣، ص٤٢٨، ج٢، سورة التوبة، آية : ٤٣ . تفسير كنز الدقائق، ج٤، ص٢٠٠، سورة التوبة، آية : ٤٣ . تفسير الصافي، ج٢، ص٣٤٥، سورة التوبة، آية : ٤٣ .

(٢) تفسير جوامع الجامع، ج٢، ص٥٧، سورة التوبة، آية : ٤٣ . تفسير كنز الدقائق، ج٤، ص٢٠٠، سورة التوبة، آية : ٤٣ . تفسير الصافي، ج٢، ص٣٤٥، سورة التوبة، آية : ٤٣ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٤، ح١، باب : ١٥ . قصص الأنبياء للجزائري، ص٢٦، خاتمة في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام وتأويل ما يوهم خلافه . تفسير البرهان، ج٣، ص٤٢٧، ج١، سورة التوبة، آية : ٤٣ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٢٢٣ . تفسير الصافي، ج٢، ص٣٤٦، سورة التوبة، آية : ٤٣ .

اعتبار ذنب أو تقصير، وإنما هو من حسن التلطف في الخطاب، وإذا قام احتمال ذلك بطل استدلال الخصم، لأن هذا الاحتمال نظراً إلى تخاطب أهل اللسان مساوٍ لاستدلال الخصم، بل أرجح فيبطل استدلاله .

[الدليل] الثاني : قوله تعالى : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1] فإنها صريحة في صدور الذنب عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله .

والجواب : إنه محمول على ترك الأولى كما تقدم، وقيل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك بشفاعتك[2]، وحسنت إضافة ذنوب أمته إليه للاتصال بينه وبينهم .

وعن الصادق عليه السلام أنه سُئلَ عن هذه الآية فقال : (ما كان له ذنب، ولا همّ بذنب، ولكن الله حَمَّلَهُ ذنوب شيعته ثم غفرها له)[3] .

وروى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام أنه سُئلَ عنها فقال : (والله ما كان له ذنب، ولكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعة

---

(١) سورة الفتح، الآية : ٢ .

(٢) تفسير مجمع البيان، ج٩، ص١٦٨، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير التبيان، ج٩، ص٣١٤، سورة الفتح، آية : ٢ .

(٣) تفسير القمي،ج٢، ص٢٩٠، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير البرهان، ج٧، ص٢٣٥، ح٦، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير مجمع البيان، ج٩، ص١٦٨، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير الصافي، ج٥، ص٣٧، سورة الفتح، آية : ٢ . بحار الأنوار، ج١٧، ص٧٦، باب : ١٥ .

علي عليه السلام، ما تقدم من ذنبهم وما تأخر)[1] .

وفي العيون عن الرضا عليه السلام أنه سُئل عن هذه الآية، فقال : (لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كَبُرَ ذلك عليهم وعظم، قالوا : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً﴾ إلى قوله : ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[2]، فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله قال له يا محمد : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] عند مشركي أهل مكة، بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مشركي قريش أسلم بعضهم، وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه، إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم)[4] .

---

(١) متشابه القرآن، ج٢، ص١٠ . تفسير البرهان، ج٧، ص٢٣٦، ح٩، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير مجمع البيان، ج٩، ص١٦٨، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير الصافي، ج٥، ص٣٧، سورة الفتح، آية : ٢ .

(٢) سورة ص، الآيات : ٥-٦-٧ .

(٣) سورة الفتح، الآيتان : ١-٢ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٤، ح١، باب : ١٥ . قصص الأنبياء للجزائري، ص٢٦، خاتمة في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام . بحار الأنوار، ج١١، ص٨٣، باب : ٤ . تفسير البرهان، ج٧، ص٢٣٢، ح٢، سورة الفتح، آية : ٢ . تفسير الصافي، ج٥، ص٣٨، سورة الفتح، آية : ٢ .

وفي رواية ابن طاووس عنهم عليهم السلام : (إنَّ المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند أهل مكة وقريش؛ يعني ما تقدم قبل الهجرة وبعدها، فإنك إذا فتحت مكة بغير قتل لهم ولا استئصال ولا أخذهم ما قدموه من العداوة والقتال، غفروا ما كان يعتقدونه ذنباً لك عندهم متقدماً أو متأخراً، وما كان يظهر من عداوته لهم في مقابلة عداوتهم له، فلما رأوه قد تحكم وتمكن وما استقصى غفروا ما ظنوه من الذنوب)[1] .

ونقل أنه صلى الله عليه وآله حين كسر الأصنام قالوا : (لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنهك كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا : ﴿أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ عُجَابٌ ۞ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنهُم أَنِ امشُوا وَاصبِرُوا عَلَى ءَالِهَتِكُم إِنَّ هَذَا لَشَيءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[2] فلما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وآله مكة قال له يا محمد : ﴿إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[3] عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله، فيما تقدم وما تأخر)[4] .

---

(١) سعد السعود، ص٢٠٨ . تفسير الصافي، ج٥، ص٣٨، سورة الفتح، آية : ٢ .

(٢) سورة ص، الآيات : ٥-٦-٧ .

(٣) سورة الفتح، الآيتان : ١-٢ .

(٤) عيون أخبـــار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٤، ح١، باب : ١٥. قصص

⇦

والمراد بالفتح هنا، قيل : هو فتح مكة[1]، وقيل فتح الحديبية، لقوله صلى الله عليه وآله : (بل أعظم الفتوح)[2] .

وقيل : هو فتح خيبر[3]، فعلى الأخير يكون المعنى ظاهراً، لأنه علة لما قبله، وعلى الأولين يكون التعليل فيما تقدم، لمنعه صلى الله عليه وآله من عبادتها، وفيما تأخر مما ظنوا أنه إن تمكن كسرها، فلا منافاة على الأقوال الثلاثة وأوائل الأدلة، لقطع حجة المخالف، وأواخرها تقوية لقلب الموالف .

نعم دليل كسر الأصنام صالح للفريقين، والحق لا يخفى على ذي عينين، فإنّ احتمال إرادة الأولى كافٍ، لأنه احتمال مساوٍ، وإذا قام الاحتمال المساوي بطل الاستدلال .

قال في شرح الطوالع في الجواب عن قوله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾[4] و﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[5] بأنّ نحو هذا محمول على ترك الأولى جمعاً بين الدليلين، لا يقال : لو كان ترك الأولى موجباً

⇦ الأنبياء للجزائري، ص٢٦، خاتمة في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام . بحار الأنوار، ج١٧، ص٨٩، ح٢٠، باب : ١٥ . تفسير البرهان، ج٧، ص٢٣٢، ح٢، سورة الفتح، آية : ٢ .

(١) تفسير مجمع البيان، ج٩، ص١٦٦، سورة الفتح، آية : ٢ .

(٢) تفسير مجمع البيان، ج٩، ص١٦٦، سورة الفتح، آية : ٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان، ج٩، ص١٦٦، سورة الفتح، آية : ٢ .

(٤) سورة التوبة : الآية : ٤٣ .

(٥) سورة الفتح، الآية : ٢ .

للعفو والغفران، لكان جميع العبادات الصادرة من النبي صلى الله عليه وآله في محل العفو والمغفرة، لأنه لا عبادة إلّا وفوقها عبادة، لأنا نقول : لا محذور في أن يكون جميع العبادات في محل العفو والمغفرة، فالعفو والمغفرة إنما يكون إذا لزم من ترك الأولى، فوات مصلحة أو حصول مضرة) .

أقول : حمل أمثال هذه على ترك الأولى كأحوالهم عليهم السلام في حال الأكل والشرب، والنكاح والجهاد وغيرها، فإنهم يفعلونها لله سبحانه وحده، لكنهم في هذه الحال ليس كحالهم في الشهود بين يدي المعبود، وحال نحن فيها هو، وهو نحن، وهو هو، ونحن نحن، فإنّ الحالة الأولى بالنسبة إلى الثانية معصية، كما قال : (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[1]، فبدليل الموالف والمخالف بطلت دعوى المخالف تجويز صدور المعاصي من الأنبياء وإن كانت صغيرة، لأنّ الصغيرة ليست من ترك الأولى .

[الدليل] الثالث : واقعة آدم عليه السلام فإن قوله تعالى : ﴿وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[2] يدل صريحاً على أنه صدر منه المعصية، مع أنه نبي بالاتفاق .

وأجاب عنه البيضاوي[3] في كتابه طوالع الأنوار : (بأنّ واقعة آدم

---

(١) كشف الغمة، ج٢، ص٧٧٩ . قصص الأنبياء للجزائري، ص٥٦، الباب : الأول : فصل : ٣ . بحار الأنوار، ج١٧، ص٣٩، باب : ١٥ .

(٢) سورة طه، الآية : ١٢١ .

(٣) البيضاوي هو : (أبو الخير القاضي ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي، الفارسي الأشعري، المتوفى سنة : «٧٨٥ هـ») . [مراقد المعارف، ج١، ص٢٠٧] .

قبل نبوته، إذ لم يكن لآدم حينئذ أمة، ولا يوجد نبي إلّا إذا كان له أمة، ولقوله تعالى : ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[1] .

أقول : وربما توهم بأنّ ما في العيون عن الرضا عليه السلام في جوابه للمأمون عن قصة آدم عليه السلام يؤيد قول البيضاوي، وهو قول الرضا عليه السلام في الجواب : (فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم حجة في أرضه، وخليفة في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم عليه السلام في الجنة لا في الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر الله، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة عُصِمَ بقوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2])[3] .

وليس كما توهمه المتوهم، بل جواب البيضاوي جار على معتقده، من أنّ الأنبياء تجوز منهم المعصية قبل النبوة، وإنما يعصمون من الكفر والكبائر بعد النبوة .

---

(١) سورة طه، الآية : ١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ٣٣ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٠، ح١، باب : ١٤ . أمالي الصدوق، ص٨٢، ح٣، مجلس : ٢٠ . قصص الأنبياء للجزائري، ص٢٠، خاتمة في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام . بحار الأنوار، ج١١، ص٧٢، ح١، باب : ٤ . تفسير البرهان، ج٥، ص١٩٢، ح١، سورة طه، آية : ١٢١ . تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٤٠٣، سورة طه، آية : ١٢١ .

وأما كلام الرضا «صلوات الله عليه» فمعناه ظاهراً إسكات الخصم .

وأما في الواقع فقد ورد عنهم عليهم السلام أن : (الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق)[1] .

وحين وقعت المعصية من آدم هو نبي على حواء، وقد ورد عنهم عليهم السلام ما معناه : (أنه لم يوجد اثنان إلّا وأحدهما حجة على الآخر)[2] ولكن العصمة فائدتها حصول الاطمئنان في التلقي، وفي الأداء والتبليغ .

وفي واقعة آدم عليه السلام وإن كان هو حينئذٍ نبي إلّا أنَّ المعصية وقعت منها أولاً، وهو إنما عصى بإطاعتها ومعالجتها له، ومتابعته لها، فلم يكن ذلك منافياً للعصمة، بالنسبة إليها في قبول ما أداه وبلغه، فلما أهبط إلى الأرض وحصلت الكثرة أو آن لها أن تحصل، عصم لفائدة القبول .

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٧٧، ح٤. كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٢٦، ح٣، باب : ٢٢ . بصائر الدرجات، ص٤٤٦، ج١٠، ح١، باب : ١١ في الأرض لا تخلو من حجة . الاختصاص، ص٢٣ . بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٨، ح٦٦، باب : ١ .

(٢) عن أبي عمارة ابن الطيَّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (لو لم يبقي في الأرض اثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبه) . [أصول الكافي، ج١، ص ١٧٩، ح٢ . غيبة النعماني، ص١٤١، ح٢، باب : ٩ . بصائر الدرجات، ص٤٤٦، ج١٠، ح٢، باب : ١١ في الأرض لا تخلو من حجة . بحار الأنوار، ج٢٣، ص٥٢، ح١٠٨، باب : ١] .

فقوله عليه السلام : (ليتم مقادير الله)؛ يعني أنه لو بقي في الجنة مع ذريته لم يحصل هذا النظام التام العجيب، إذ لم يتميز الخبيث من الطيب إلّا في الدنيا وفي الأرض .

ولما جرت عادة لطف الله بعباده أنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم[1]، والمعصوم من حيث هو معصوم لا يقع منه تغيير، فإذا أراد الله إمضاء مقاديره، بما فيه صلاح عباده، وتمام نظام بلاده، وَكَلَهُ إلى نفسه طرفة عين، فيقع منه التغيير، فيغير الله ما به من نعمه على حسب مصلحته، ففي ما نحن فيه رفع عنه اللطف، وغيب عنه الملك المسدد، فعصى .

وفي الواقع لا يقال أنه عصى من حيث هو معصوم، كما هو حال ما نحن بصدده، بل إنما عصى حين صرف عنه وجه العصمة، ليتم مقادير الله عز وجل، فليس كلامه ومراده عليه السلام موافقاً لمراد البيضاوي وكلامه، فافهم .

وقال شارح الطوالع : (ومنهم من أعتذر عن قصة آدم عليه السلام بأنّ قوله تعالى : ﴿وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[2]، أراد به وعصى أولاد آدم، كما في قوله تعالى : ﴿وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ﴾[3] .

---

(١) مقتبس من قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ . [سورة الأنفال، الآية : ٥٣] .

(٢) سورة طه، الآية : ١٢١ .

(٣) سورة يوسف، الآية : ٨٢ .

والذي يؤكد هذا قوله تعالى في قصة آدم وحواء : ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[1]. وبالاتفاق لم يشرك آدم ولا حواء، وإنما أشرك أولادهما .

ومنهم من قال : كان ذلك بعد الرسالة، فزعم أنه كان على سبيل النسيان لقوله : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[2]. واعترض عليه بأنَّ إبليس ذكر آدم وقت الوسوسة أمر النهي، فقال : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾[3] . ومع هذه التذكرة يمنع النسيان .

وقد أجيب عنه بأنه يجوز أن يكون وقت التذكير غير وقت النسيان، وإلَّا فلا وجه لقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ﴾ .

وأيضاً عاتبه على ذلك في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[4] . وآدم وحواء اعترفا بالزلة، وقالا : ربنا ظلمنا أنفسنا فقبل الله توبتهما، فقال الله تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[5]. وكل ذلك ينافي النسيان .

ومنهم من سلَّم أنَّ آدم كان متذكراً للنهي، لكنه أقدم على التناول بالتأويل، وهو من وجوه :

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٩٠ .

(٢) سورة طه، الآية : ١١٥ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٢٠ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٢٢ .

(٥) سورة طه، الآية : ١٢٢ .

أحدهما : زعم النظام[1] أن آدم عليه السلام فهم من قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾[2] الشخص، وكان المراد النوع، وكلمة هذه كما تكون إشارة إلى الشخص فقد تكون إشارة إلى النوع، لقوله صلى الله عليه وآله : (هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلّا به)[3] .

وزعم آخرون أنّ النهي وإن كان ظاهراً في التحريم لكنه ليس نصاً فيه، وصرفه عن الظاهر لدليل عنده .

وبالجملة إذا تعارضت الدلائل فلا خلاص إلّا بالتأويل، أو التوقيف) .

أقول : قول من قدر في الكلام مضافاً، كما في قوله تعالى : ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[4] أي واسأل أهل القرية، وإن كان احتمالاً لا يصحح اللفظ، لكنه مخالف لما في الواقع، فإنّ أولاد آدم لم يقع منهم الأكل من الشجرة،

---

(١) النظام هو : (أبو إسحاق إبراهيم بن يسار بن هاني البصري، ابن أخت أبي الهذيل العلاف شيخ المعتزلة .
وكان النظام صاحب المعرفة بالكلام، وأحد رؤساء المعتزلة) . [الكنى والألقاب، ج٣ ص٢٥٣] .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٩ .

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٥، ح٤، باب : ٨ صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله . عوالي اللآلي، ج٢، ص٧، ح٤، المسلك الرابع . فقه القرآن، ج١، ص٢٧ . مستدرك الوسائل، ج١، ص٣٢٨، ح٧، باب : ٢٨ . وسائل الشيعة، ج١، ص٤٣٨، باب : ٣١ .

(٤) سورة يوسف، الآية : ٨٢ .

شجرة الخلد بعد أن نهاهم الله عنها، ولم يكن ذلك إلَّا من آدم وحواء، بخلاف ما تأيد به من الآية الثانية، فإنَّ جعل الشركاء لله وقع من الأولاد، وذلك صحيح ، نعم لو فسرت الآية الأولى بما ذكره أهل التأويل، وعلماء الصناعة الفلسفية، أنَّ المراد بالشجرة حب الدنيا، ورياستها وزينتها، وعلم الإكسير، أمكن التأويل بحذف المضاف، فإنَّ أهل التأويل يجوزون الأكل من الشجرة المشار إليها في [الآية] الشريفة إلى ما ذكرنا من خصوص علم الصناعة، أو مطلق حب الدنيا، وهذا التأويل -على فرض قبوله- لا يدفع القول في آدم وحواء، إلَّا على حصر معنى الآية بالتأويل، وهو باطل، فإنَّ المعنى الظاهري مراد قطعاً وواقع، وإنما الكلام في معنى التأويل هل هو مراد أم لا؟ .

وأما من زعم أنه بعد الرسالة، وكان العصيان من آدم وحواء على سبيل النسيان، فغير مسلم له .

أما أولاً : فلما تقدم من الأدلة الشاملة لما قبل الرسالة وبعدها، بعدم جواز صدور الذنب من المعصوم عمداً وسهواً، فالحمل على ذلك غير صحيح، ولو تنـــزلنا لكان ما قبل البعثة أولى منه بعدها، وإن كان نسياناً، لما مر في قول الرضا عليه السلام[1]؛ لأنه قبل البعثة لا يحدث منه عظيم منافاة لمقتضى العصمة على ما يعرف عامة الناس .

وأمـــا على مقتضى الأدلة وحكمها فلا يجوز قبلها ولا بعدها، ومع

---

(١) راجع الصفحة رقم (٨٨) من هذا الكتاب .

هذا فقد وردت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام أنَّ نسي في الآية بمعنى ترك[1]، وهو ينافي قول من فرّ عن نسبة المعصية إلى النسيان، فإنَّ النسيان أيضاً من المعصوم قبيح لمنافاته لفائدة العصمة .

فإن قلت : نعم، ولكنه أقل قبحاً من النسيان بمعنى الترك، فلا يصار إلى الأقبح .

قلت : لا حاجة تدعو إلى المصير إلى شيء منهما، ولم أذكره للمصير إليه، وإنما ذكرته معارضة لمن التجأ إليه، حتى سهل عليه نسبة المعصية بعد الرسالة، ولولا حمله على النسيان لما قال به بعد الرسالة .

فإن قلت : لِمَ قلت أنه لا حاجة تدعو إلى المصير إلى شيء منهما، وأنت تروي أنَّ النسيان بمعنى الترك، وهو يدل على مصيرك إليه؟ .

قلت : لم أصر إليه في هذا المعنى، وإنما أصير إليه فيما روي بمعنى أنه لما كلف مع النبيين أولي العزم في الذر الأول، بما يختص به النبيون السابقون آمنوا به عن بصيرة، وآدم آمن به من غير بصيرة ولا فهم له، ولم يجحد، ولو جحد لكفر[2] فسمى النبيون المؤمنون عن معرفة بـــ(أولي

---

(١) تفسير التبيان، ج٧، ص٢١٣ .

(٢) عن حُمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (أخذ الله الميثاق على النبيين؟، وقال : ألست بربكم، وأنَّ هذا محمد رسولي، وأنَّ علياً أمير المؤمنين .
قالوا : بلى، فثبت لهم النبوة .

العزم)[1]، و لم تكن تلك الرتبة لآدم، فقال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾[2]؛ أي فترك، يعني لم يفهم، و لم يجحد، و لم نجد له عزماً، وثباتاً وصبراً، كما كان لأولي العزم عليهم السلام .

⇦ ثم أخذ الميثاق على أُولي العزم أني ربكم، ومحمد رسولي، وعلي أمير المؤمنين والأوصياء من بعده وُلاة أمري، وخُزان علمي، وأن المهدي أنتصر به لديني، وأُظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأُعبد به طوعاً وكرهاً .

قالوا : أقررنا –يا ربنا– وشهدنا، و لم يجحد آدم عليه السلام و لم يُقِر، فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عليه السلام، و لم يكن لآدم عزيمة على الإقرار، وهو قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزْماً﴾) .

[بصائر الدرجات، ج٢، ص٨٢، ح٢، باب : ٧ ما خص الله به الأئمة من آل محمد عليهم السلام من ولاية أولي العزم في الميثاق وغيره . تفسير البرهان، ج٥، ص١٩١، ح٤] .

(١) أُلوا العزم خمسة، وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهم : (نبي الله نوح عليه السلام، ونبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، ونبي الله موسى عليه السلام، ونبي الله عيسى عليه السلام، ونبي الله محمد صلى الله عليه وآله)، وهؤلاء الخمسة سموا بأولي العزم لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وكل نبي كان بعد نبي الله نوح عليه السلام كان على شريعته، وتابعاً لكتابه إلى شريعة النبي الذي بعده، إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وشريعته لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة . كما هو صريح قول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام . [راجع علل الشرائع، ج١، ص١٤٩، ح٢، باب ١٠١] .

(٢) سورة طه، الآية : ١١٥ .

فإن قلت : لعل ما ذكرت مخصوص بتلك الواقعة؟ .

قلت : الظاهر أنه ليس بخاص بها، بل هو المراد بقرينة ما دل على تذكره، كما يأتي في أجوبة القوم، وإن تكلمنا هناك على ما يناسب المقام وهذا .

قال الشارح : (واعترِضَ عليه بأنَّ إبليس ذَكَّرَ آدم وقت الوسوسة أمر النهي، فقال : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾[1]، ومع هذا التذكير يمتنع النسيان، وقد أجيب عنه بأنه يجوز أن يكون وقت التذكير غير وقت النسيان) .

أقول : هذا الاحتمال قائم، بل هو الظاهر، وهو أنَّ إبليس إنما ذكر آدم النهي حال الوسوسة والتزيين، وهو غير وقت النسيان، لأن وقت النسيان هو وقت الأكل، لكن قول المجيب وإلَّا فلا وجه لقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ﴾[2] فيه : إنه وإن سلمنا أنَّ وقت التذكير والوسوسة غير وقت النسيان، الذي هو وقت الأكل، لكن لا نسلم وألَّا فلا وجه لقوله تعالى : ﴿فَنَسِيَ﴾، بل له وجه، وهو أنَّ نسي بمعنى ترك كما هو مذكور في اللغة[3]، ومنه النسيئة، بمعنى التأخير .

فإن قلت : إنَّ الظـــاهر منه النسيان المذكور الذي هو محو الصورة

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٢٠ .

(٢) سورة طه، الآية : ١١٥ .

(٣) المعجم الوسيط، ج٢، ص٩٢٠، مادة : (نَسَا) .

من الحافظة، لأنه أشهر الفردين .

قلت : إنَّ باقي الآية وهو قوله : ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1] يشعر بأنه فعل ما فعل ذاكراً النهي، وإلَّا لم يحسن أن يقال في حقه : ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ .

وأيضاً حين عاتبهما، اعترفا بالتقصير والزلة، ولو كان فعلهما عن النسيان وعدم العمد لكان الاعتذار به أولى، وأقرب للمسامحة .

فإن قلت : إنما اعترفا طلباً للصفح من الكريم، والمعتذر بالنسيان غير طالب للصفح .

قلت : إنَّ الاعتذار بالنسيان طلب للصفح، مع عدم عظيم التقصير، وهو أبلغ من الأول، وأقرب للرحمة .

وأما قول من سلَّم أنَّ آدم كان متذكراً للنهي، لكنه أقدم على التناول بالتأويل إلى آخر احتجاجه، فهو مروي وهو احتجاج قوي، ومعنى ما روي على جهة الاختصار والاقتصار أنه : (لما امتنع إبليس من السجود لآدم، وطرد من الجنة، كان لا يقدر على الصعود إليها بنفسه، وإنما يدخل في فم الحية، وتصعد به إلى الجنة، فكان يوسوس لآدم بالأكل من الشجرة، وهو في فم الحية، ويتوهم آدم أن الحية هي التي تكلمه فلم يقبل منها، ومضى إلى حواء وذكر لها ذلك فلم تقبل منه .

---

(١) سورة طه، الآية : ١١٥ .

فقال لها إبليس : إنَّ الله نهاكما عن الأكل من الشجرة التي أشار إليها، وفي الجنة أمثالها كثير، فكلي من غير المشار إليها، ونوع الشجرة واحد، كلها شجرة الخلد، فأبت .

فقال : إنَّ الله تعالى نهاكما عن الأكل، وبعد ذلك النهي رخص لكما .

قالت : لو صدرت عن الله تعالى رخصة لوصلت إلى نبيه آدم .

فقال لها : هذه الشجرة، وأشار إلى غير ما أشار الله تعالى إليها، عليها حرس من الملائكة يحرسونها، فامضي إليها فإن منعتك الملائكة الحارسون فاعلمي أنَّ النهي باق، وإن لم تمنعك فاعلمي أنَّ النهي ارتفع .

فمضت إلى الشجرة فَهَمَّت الملائكة الحارسون بمنعها، فأوحى الله إليهم أن امسكوا، فإني إنما جعلتكم حرساً عن غير العقلاء، وأما العقلاء فقد وكلتهم إلى عقولهم، فأتت إلى الشجرة فلم تمنعها الملائكة، فأكلت منها فمضت إلى آدم فأخبرته بالقصة، وأنَّ النهي ارتفع وأنها أكلت، فمضى آدم وأكل، ولم يأكلا من نفس الشجرة التي نـــزل الوحي بالإشارة إليها بخصوصها) .

فتوجيه النظام[1] موافق في المعنى لما يفهم من هذه الرواية التي نقلتها بـــالمعنى، مقتصراً على ما فيه الاستشهاد، وهو توجيه متجه، ويرجع إلى ترك الأولى، وهو ليس بذنب في الحقيقة .

---

(١) راجع ترجمته هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٩٨) من هذا الكتاب .

نعم يسمى معصية، وذنباً وسيئة، إذا صدر من أصحاب المراتب العالية في القرب من الله ﷻ كالنبيين، ولهذا ورد : (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[1]، وذلك أنه قد روي عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : (لنا مع الله حالات نحن فيها هو، وهو نحن، وهو هو، ونحن نحن) .

وهذا هو معنى ما ذكره الحجة «عليه وعلى آبائه السلام» في دعاء شهر رجب، قال : (فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك، التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك ...)[2] .

وهذه أعلى مراتب القرب، وهم عليهم السلام في هذه الحالة بالنسبة إلى فعل الله ومشيئته مثل الحديدة المحماة في النار، فإنه لا فرق بينها في الإحراق وبين النار، لأنها محل فعل النار، وهم عليهم السلام في هذه الحال محال مشيئة الله، وهم عباد الله وخلقه، ولهم حالات، وهي دون هذه، وهي حالة عبادتهم، وأكلهم وشربهم، ونكاحهم وما أشبه هذا، وهي وإن كانت حسنات يثابون عليها، وقد أمرهم بها إلّا أنها بالنسبة إلى الحالة الأولى معاصي وغفلات عن الحضرة الإلهية، فهم يستغفرون منها وإن لـــم تكن ذنوباً

---

(١) راجع هامش رقم (٢) في الصفحة رقم (٩٣) من هذا الكتاب .

(٢) مصباح الكفعمي، ص٥٢٩، فصل : ٤٣ . إقبال الأعمال، ص٦٤٦ . مصباح المتهجد، ص٨٠٣، أول يوم من رجب . البلد الأمين، ص١٧٩، شهر رجب .

حقيقية، ومثال ذلك الرجل المقرب عند السلطان، فإنه إذا كان بين يديه لا يحسن منه أن يأكل ويشرب وينكح، وإن كان يرضاه، بخلاف ما إذا مضى عن مجلسه فإنه يفعل ما يشاء مما لا يسخط السلطان ولا عيب فيه، ولكن حالته الأولى أفضل وأجل من الحال الثانية .

فإذا فهمت هذا ظهر لك أنَّ ما ينسب إلى الأنبياء من قبيل ترك الأولى، وأنهم يعدونه ذنوباً، والله سبحانه يعاتبهم على فعل ذلك لقرب محلهم من حضرة مناجاته .

ومن زعم : (أنَّ النهي وإن كان ظاهراً في التحريم لكنه ليس نصاً فيه)، إلى آخر كلامه .

يريد بالتأويل الحمل على ترك الأولى، وهو استدلال صحيح من دليل المجادلة بالتي هي أحسن[1] في الظاهر .

وقوله[2] : (أو التوقيف) تردد بين مقتضى الأدلة، وهو الحمل على ترك الأولى، وبين مقتضى الاعتقاد من إثبات المعصية الحقيقية، إما قبل النبوة أو بعدها أو نسياناً، لأن أصل هذا ميل إلى المعتقد، لا بصريح الدليل، وهو الذي أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

---

(١) راجع تعريف هذا الدليل هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٦٠) من هذا الكتاب .

(٢) يعني قول شارح الطوالع .

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[1]، يعني أنَّ الذين لا يطلبون محض الحق وإنما يطلبون تصحيح غرضهم واعتبار طريقتهم، وإن خالف مقتضى الأدلة، فيتكلف ما يغالط به الخصم وإن كان يعلم أنه ليس بدليل، ومنه تردد هذا الزاعم بعد ما قاده الدليل إلى صحيح التأويل، فافهم .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

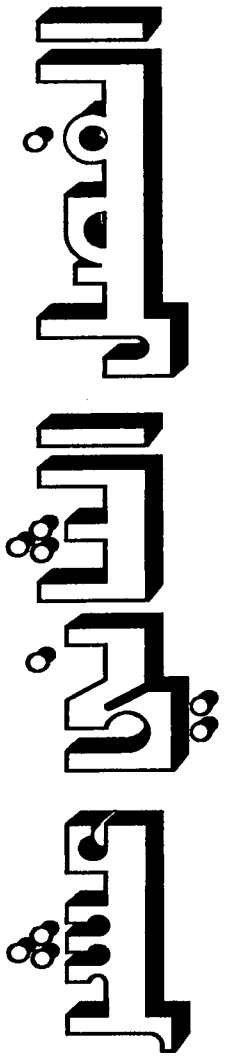

فصل

[تنزيه نبي الله إبراهيم عليه السلام من الذنب]

ومن الوجوه التي عارض بها القائلون بجواز صدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام أدلة المانعين :

[الوجه الأوَّل]

قول إبراهيم عليه السلام : ﴿هَذَا رَبِّي﴾[1] فإنه كفر، وقد صدر عن إبراهيم وهو نبي بالاتفاق .

أجاب : بأنَّ قول إبراهيم ﴿هَذَا رَبِّي﴾، على سبيل الفرض، فإنَّ من أراد إبطال قول يفرضه أولاً ثم يبطله .

أقول : إنَّ هذا الجواب صحيح وإن كان مجملاً مختصراً، وبيانه أنه كان في زمانه طائفة يعبدون الزهرة، وطائفة يعبدون القمر، وطائفة يعبدون الشمس، فأتى إلى العابدين للزهرة، فلما طلعت الزهرة قال لهم : ﴿هَذَا رَبِّي﴾؟! على جهة الإنكار، أظهره في صورة الإقرار ليميلوا إليه

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٧٧ .

ويقبلوا بيانه، لأنهم لا يتهمونه، فلما مالوا إليه وفرحوا به، وأحبوه، وأفلت الزهرة قال لهم : ما أحب هذا .

فقالوا : لِم؟ .

قال : لأنه أفل وانتقل من مكان إلى مكان، والرب لا يجوز أن يغيب ولا ينتقل، لأنه إذا غاب وانتقل فارق مربوبه، وإذا فارقه اضمحل مربوبه، ولو كان هذا الكوكب رباً لكان حين أفل ذهبت مربوباته .

فلما بيّن لهم بطلان اعتقادهم انتقل إلى العابدين للقمر، وفعل لهم مثل الأولين، ثم انتقل إلى عبدة الشمس، وفعل معهم مثل ما فعل بعبدة الكوكب والقمر، وهذا مراد المجيب .

والظاهر أنَّ هذا الاحتمال الذي أقامه أرجح من ظاهر اللفظ، بدلالة الآيات التي بعد تلك القصة، وهي قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[1] . فإنه دال على أنَّ إبراهيم فعل ذلك ليبين لهم كيفية الاستدلال على معرفة المعبود ﷻ، وإذا كان أرجح أو مساوياً بطل استدلال الخصم، مع معارضة الأدلة الصحيحة الصريحة له .

[الوجه الثاني]

ومن الوجوه التي عارض بها الخصم قول إبراهيم عليه السلام : ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾[2] وهو كذب، والكذب ذنب، فقد صدر من النبي ذنب .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٨٣ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٦٣ .

أجاب عنه بوجهين : أحدهما :

إنَّ إبراهيم قال هذا القول على سبيل الاستهزاء بالكفار، كما لو قلت لصاحبك وهو أمي، ويعتقد أنه قادر على الكتابة، أنت كتبت هذا على سبيل الاستهزاء .

وثانيهما : أنَّ إسناد الفعل إلى الكبير إسناد الفعل إلى السبب، لأن تعظيم الكفار للصنم حمل إبراهيم على أن يجعلها جذاذاً .

أقول : وفيه وجه ثالث، وهو : تقديم الجزاء على الشرط، والمعنى إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا[1]، فقدم الجزاء على الشرط إيهاماً وتنبيهاً لهم، إلَّا أنهم إذا كانوا لا ينطقون بل هم جماد، فإنهم لا ينفعونهم شيئاً ولا يضرونهم، فلم يعبدون ما لا ينفعهم شيئاً ولا يضرهم، فلما نبههم تنبهوا وقالوا لأنفسهم : ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2] .

ثم رجعوا عن التنبيه لاتباع طريقة آبائهم وإلى العصبية، ولو لم ينسب ذلك الفعل إلى الكبير لما تنبهوا على خطئهم في عبادتهم لأصنامهم،

---

(١) قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام : (قال إبراهيم : [فسألوهم] إن كانوا ينطقون فكبيرهم هو الذي فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم) . [تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٤٣٣، سورة الأنبياء، آية : ٦٣ . تفسير كنز الدقائق، ج٦، ص٣٩٧، سورة الأنبياء، آية : ٦٣ . تفسير الصافي، ج٣، ص٣٤٣، سورة الأنبياء، آية : ٦٣].

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٦٤ .

وإن كانوا لا ينتفعون بذلك، ولكن إقامة للحجة عليهم، ولأجل هذه الفائدة قيل أنّ هذا الوجه أظهر من الأولين .

وعلى أي حال فإنّ هذه الاحتمالات لا أقل أن تكون مساوية، فتبطل بها معارضة الخصم .

[الوجه الثالث]

ومن الوجوه : نظر إبراهيم عليه السلام في النجوم ليعلم حاله من تأثير النجوم لقوله تعالى : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[1] والنظر في النجوم من هذا الوجه حرام .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ كذب، لأنه لم يكن سقيماً، والكذب ذنب .

أجاب : إنّ نظر إبراهيم في النجوم ليس ليعرف حاله من تأثير النجوم، بل نظره في النجوم كان للاستدلال والتعرف من صنعه تعالى، والنظر في النجوم من هذا الوجه طاعة، لقوله تعالى : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2] . وبأنّ قوله تعالى : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ يجوز أن يكون عن سقم حال به، أو من سقم متوقع في الاستقبال .

أقول : إنّ النظر في علم النجوم لتعرف حاله ليس بحرام مطلقاً، وإنما

---

(١) سورة الصافات، الآيتان : ٨٨ - ٨٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٩١ .

الحرام إذا نظر باعتقاد أنها مؤثرة، وليس في الآية مـــا يدل على ذلك، فحمل المعارض نظره على الاعتقاد غير مراد، ودون إثباته خرط القتاد[1]، وإنما الواقع في المسألة أنّ الأسباب جعلها الله سبحانه أسباباً، ومعنى جعله أسباباً أنه ﷻ يفعل بها المسببات، كبذر الحنطة في الأرض، وتنقية الأرض، وتغطيته لئلا يأكله الطير، وسقيه بالماء، فإنها أسباب جرت عادة الله أنه لا يوجد الزرع للحنطة بدون ذلك، لا أنه مستقل سبحانه بالزرع بدون الأسباب، كما يعتقده صاحب الاعتراض وصاحب الجواب، لأنه سبحانه إذا أراد أن ينبت النبات من الحنطة فلا بد من تهيئة الأسباب، إما كما ذكرنا مثلا، وإما غيرها فإنه مسبب الأسباب، وإلّا لم تكن الأسباب أسباباً، وليس ذلك لعجز في القدرة، ولكن لعجز في المقدور عن قبوله للإيجاد بغيرها، كما جعل علة الشيء من الأجسام المادة والصورة، فلا يمكن إيجاد جسم مادي بلا مادة وصورة، وذلك لعجز المصنوع بدون ذلك، ولذا صرح سبحانه بالرد على من ادعى أن له ولداً، فقال : ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[2]، لأنه لو خلق ولداً لم يكن ولداً، بل هو من سائر خلقه، ولا يكون حتى يتولد من أبٍ وأمٍ ظاهرين، أو باطنين، أو أحدهما ظاهر والآخر باطن، مثل زيد من أب وأم ظاهرين، ومثل آدم من أب وأم باطنين، وهما المادة والصورة، ومثل عيسى من أب

---

(١) القتـــاد هو : (شجر صلب له شوك كالإبر) . وخرط القتاد هو : (انتزاع قشره أو شوكه باليد) . [المنجد في اللغة، ص٦٠٩، مادة : (قَتَدَ)] .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٠١ .

باطن، وهو المادة المتخلقة من نفخ روح القدس، ومن مريم، فإنَّ الله تعالى أمر جبرائيل الأمين فاستل من لطيف الأرض سلالة قد وقع عليها من شجرة المزن التي في الجنة، نطفة استجنَّت في باطنها، كاستجنان النطفة التي من شجرة المزن، استجنت في الرائحة، والرائحة تعلقت بلطيف السلالة المشار إليها، فانبثت تلك السلالة في الهواء كانبثاث الذر والغبار في الهواء، فنفخ منه جبرائيل عليه السلام في جيب مريم، فَتَكَوَّنَ عيسى من تلك النطفة التي هي المادة، وهي الأب الباطني، مع ما من مريم عليها السلام من القابلية، وهي الصورة التي هي الأم الباطنية .

ولأجل هذا قال الله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]؛ أي خلق عيسى من تراب، كما خلق آدم من تراب، فقال له كن فيكون، كما قال لآدم، وليس المعنى أن مثل عيسى عند الله مثل آدم، في أنه يقول كن فيكون بدون خلقه من تراب، كيف وعيسى خلق من صلب آدم ، ولكنه حين مسح على ظهر آدم وأخرج الذرية في الذر منه من ظهور آبائهم، وكلفهم وجمعهم في صلبه، ولم يرجح عيسى، فلذا سمي المسيح؛ لأنه قد بقي عليه آثار المسح .

والحاصل : أنَّه لا بد في الأشياء من أسبابها، فلو لم يكن في الأسباب مدخل في الإيجاد أصلاً كما يزعمه الأشعري لما كان لإيجادها ولتسميتها

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٥٩ .

أسباباً فائدة، ولا نقول أنها هي المؤثرة بدون الله تعالى، بل نقول : الله سبحانه يفعل بها ما يشاء من مسبباتها، ويستحيل قبول الإيجاد بدون قابل، والمادة والصورة علتان، والفعل علة الفاعلية .

وبالجملة : ليس هذا محل بيان هذه المسألة، إلَّا أنّا نقول : إنَّ الله - سبحانه- جعل النجوم وما في العالم العلوي أسباباً بها يفعل، فهي مؤثرة بالله في المسببات، فإنَّ الماء والأرض والفصل جعلها الله أسباباً للنبات، فبها ينبت النبات، وبه كانت أسباباً لكون البذر قابلاً للزرع، وأنت إذا تأملت قوله تعالى : ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾[1] بعقلك طالباً للحق غير ملتفت إلى مذهبك، ظهر لك ما أشرت إليه .

وإذا نظرت إلى جميع الأشياء رأيتها جارية على نحو ما ذكرنا لم يخلق شيئاً بغير سبب، وذلك لعجز المخلوقات عن قبول الإيجاد بدون الأسباب .

فإن قلت : لو شاء الله تعالى خلق ما شاء بغير سبب، لأنه سبب من لا سبب له، وسبب كل ذي سبب، ومسبب الأسباب من غير سبب .

قلت : هو سبحانه كذلك وفوق ذلك، لكن المخلوق لا قدر بدون الأسباب المخلوقة، فإذا أراد سبحانه سبب الأسباب .

وقوله : (سبب كل ذي سبب، وسبب من لا سبب له) : أنه يسبب الأسباب لمن لا سبب له، من غير سبب قديم، بل هو بفعله تعالى، يخترع

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٠١ .

الأسباب لما يريد من إيجاده، فافهم .

فنظره عليه السلام في النجوم من هذا النحو، فإنَّ الله سبحانه جعل الكواكب والأفلاك والبروج، وجميع المنازل والحركات، أوقاتاً وأسباباً لما يفعل؛ مثل ارتفاع الشمس جعله سبباً لفصل الربيع، فإنها بحرارتها تسخن، وبرطوبة فصل الشتاء، وبحرارتها تحصل الحرارة والرطوبة في العالم السفلي، اللتان هما علة الكون، لأن الأسباب جعلها أعضاداً للمسببات، وهو الفاعل بتلك الأسباب .

والمحرَّم من علم النجوم هو اعتقاده أنها مؤثرة بدون الله، وأما بالله فقد نص سبحانه على نظائره، فقال في حق عيسى «على محمد وآله وعليه السلام» : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾[1] وكل هذا مثل ما قلنا، إذ لا فرق بين عيسى وبين الجمادات، كالماء والأرض للنبات .

وأيضاً المحرَّم من علم النجوم اعتقاد التأثر بما ظهر له من الأسباب، وإن كان بالله سبحانه لأنه لا يحيط بجميع الأسباب، ولهذا ورد : (أنَّ هذا علم لا يعلمه إلَّا نحن، وأهل بيت في الهند) .

فمثل إبراهيم عليه السلام يحيط بالقدر الذي يكون تاماً في السببية للإيجاد، فإذا نظر عرف علة التأثير و لم يبق عليه من الجزم بإيجاد الله للمسبب، عندما

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١١٠ .

يعلم من الأسباب إلَّا ما لله في إيجاده البداء، فإنه قبل أن يوجد له ألا يوجده لما يجدد من الموانع إذا شاء، وحينئذٍ يحصل لإبراهيم عليه السلام علم بوقوع المسبب عن تلك المسببات بالله سبحانه، كما يحصل لك حين رأيت الجبل اليوم ومضيت عنه، العلم بأنه باق على حجريته، لم يقلبه الله ذهباً، ولو شاء تعالى انقلب، وهذا العلم العادي بما كان يحل لأهل العصمة عليهم السلام بما سيكون عن الأسباب المستلزمة لذلك بالله، الذي جعلها مستلزمة به تعالى .

وغير المعصومين لا يحصل لهم ذلك العلم، لعدم إحاطتهم بقواعده، كما كان دانيال عليه السلام يحصل له العلم القطعي من علم الرمل، وعلماء الرمل غير المعصومين أجمعوا بأنه من غير المعصوم لا يفيد إلَّا الظن، وأنه يفيد القطع من المعصوم، وذلك لأن علوم المعصومين عن الوحي عن الله سبحانه بواسطة الملك، وهم مع هذا مؤيدون بروح القدس، فيحصل لهم القطع، لا يتوقف أحدهم على شيء في حصول القطع، إلَّا على البداء، فإنهم يعلمون أنَّ الله عز وجل يمحو ما يشاء ويثبت[1]، وهم يعلمون أنَّ كل شيء قائم بأمر الله، فالأسباب إنما تؤثر، بل إنما هي شيء بالله، أي بالله وبما أقامها وحفظها من أمره، فهي به تعالى وبأمره شيء، وليس كما يتوهم المفوضة[2]، ولا

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ . [سورة الرعد، الآية : ٣٩] .

(٢) المفوضة هي : (فرقة من الغلاة زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض إليه ⇦

الجبرية[1]، فالنظر في النجوم ليس حراماً .

فإذا عرفت ما بينا لك ظهر لك أنَّ الجواب المذكور سابقاً المنقول عن شارح الطوالع ليس بشيء[2]، بل الجواب هذا، وهو المروي من أخبار أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله بالمعنى[3]، لأنه قوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنِّي

⇦ خلق العالم وتدبيره، فهو خلق العالم دون الله تعالى، ثم فوض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب، ويقال أنهم الذين يزعمون أن الباري تعالى خلق روح علي بن أبي طالب وأولاده، وفوض العالم إليهم، فخلقوا السماوات والأرض) . [معجم الفرق الإسلامية، ص٢٣٥] .

(١) الجبيرة هم : (القائلون بالجبر من الأشاعرة، ومن العامة بأنَّ كل ما يصدر من الإنسان من فعلٍ فقد اجبره الله عليه) . [معجم الكلام، ص٣٤٤، حرف الميم، رقم : ٢٢] .

والجبرية على قسمين : الأول : الجبرية الخاصة وهي : (التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً) . والثانية : الجبرية المتوسطة وهي : (التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً) . [الملل والنحل، ص٣٦] .

(٢) راجع بداية الفصل الثامن من هذا الكتاب .

(٣) عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٢٤] . فذكر عليه السلام ما ابتُلي به إبراهيم عليه السلام، فقال عليه السلام : (ومنها : المعرفة بقِدَمِ بارئه، وتوحيده، وتنزيهه عن التشبيه حين نظر إلى الكواكب والقمر والشمس، فاستدل بأُفول كل واحد منها على حدوثه، وبحُدوثه على مُحدِثه، ⇦

سَقِيمٌ﴾[1]، متفرع على نظره في النجوم .

وأما قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فليس بكذب، لأنه سقيم القلب، أما ظاهراً فلما لحقه من أفعالهم وعبادتهم الأصنام، فلما خرجوا لعيدهم وأرادوا منه أن يخرج معهم فقال لهم إني سقيم، وهو يريد إني سقيم القلب من أفعالكم، ولا أقدر على الخروج حتى أشفي قلبي من أصنامكم بتكسيرها، وكلامه مطابق للواقع ولاعتقاده، ولإرادته فهو صدق[2]، ولا يراد من

⇦ ثم علّمه عليه السلام بأن الحكم بالنجوم خطأ في قوله عز وجل : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۝ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وإنما قيده بالنظرة الواحدة؛ لأن النَّظْرَة الواحِدَة لا توجب الخطأ إلّا بعد النظرة الثانية، بدلالة قول النبي صلى الله عليه وآله لما قال لأمير المؤمنين عليه السلام : يا علي أوّل النظرة لك، والثانية عليك لا لك) . [معاني الأخبار، ص١٢٦، ح١، باب معنى الكلمات التي ابتلى إبراهيم ربه بهن فأتمهن . تفسير البرهان، ج٦، ص٤٣٠، ح٦، سورة الصافات، الآيتان : ٨٨-٨٩] .

(١) سورة الصافات، الآية : ٨٩ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : عندما سأله رجل من أصحابه عن قوله تعالى : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ : (ما كان إبراهيم سقيماً، وما كذب، إنما عنى سقيماً في دينه مرتداً) . وروي أنه عنى بقوله سقيم : (أي سأسقم، وكل ميت سقيم، وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [سورة الزمر، الآية : ٣١] . بمعنى أنك ستموت) . وروي أيضاً : (أنه عنى أني سقيم بما يفعل بالحسين بن علي عليهما السلام) . [معاني الأخبار، ص٢٠٩، ح١ . تفسير البرهان، ج٦، ص٤٣٠، ح٦، سورة الصافات، آية : ٨٩] .

الصدق إلّا مطابقة الكلام للواقع بعقد المتكلم، وإرادته من لفظه ودلالة لفظه، لا على ما يفهم السامع من الكلام مطابقته للواقع، لا يجعله صدقاً بخلاف إرادة المتكلم وقصده، ولهذا لما قال المنافقون لمحمد صلى الله عليه وآله : ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ . قال الله : ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾[1] .

فعلم الله من هذا الكلام مطابقته للواقع، ولكنهم لم يريدوا بكلامهم مطابقته للواقع، لعدم توطين أنفسهم على طاعته، فجعل الله كلامهم كذباً لعدم إرادتهم المطابقة، فقال الله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[2] وإنما أمر بالتورية[3] في بعض الواقعات تقصياً من الكذب، ولو كانت التورية كذباً لما وجبت في مواضعها احترازاً من الكذب، فافهم إن كنت تفهم .

---

(١) سورة المنافقون، الآية : ١ .

(٢) سورة المنافقون، الآية : ١ .

(٣) التورية هي : (أن يريد بلفظ معنى مطابقاً للواقع، وقصده من إلقائه أن يفهم المخاطب منه خلاف ذلك) .[الاصطلاحات الفقية في الرسائل العملية، ص ٤٩] .

فصل

[تنزيه نبي الله يوسف عليه السلام من الذنب]

[الوجه الرابع]

ومن الوجوه التي عارض بها المخالفون أدلة الموافقين إخفاء يوسف[1] عليه السلام حريته عند بيعه، فإنه كتمان للحق، وكتمان الحق ذنب .

أجاب : إنما أخفى يوسف حريته لإشعاره بالقتل إن أظهر حريته، وكان ذلك قبل نبوته .

أقول : إنما أخفى يوسف حريته دفعاً للقتل، فإنه نقل أنهم خاطبوه بلغتهم، والسيارة لا يعرفون لغتهم، وقالوا له : إن لم تعترف عندهم بأنك رق لنا قتلناك، فاعترف لهم عند السيارة بذلك[2]،

---

(١) نبي الله يوسف هو : (يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله عليه السلام) .

(٢) السيارة هي : (جماعة مارة من قبل مدين يريدون مصر، فأخطأو الطريق، فانطلقوا يهيمون على غير الطريق، حتى نزلوا قريباً من الجب، وكان في قفرة

⇦

إلّا أنه اعترف لهم بأنهم صادقون تورية، لأنهم لو لم يعترف قتلوه، فهم صادقون في وعيدهم .

وروى ابن عباس أنه سكت[1]، وأكثر المفسرين أنّ أخوته أتوا الرفقة وقالوا : (هذا غلامنا آبق منا فاشتروه، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه)[2] وأنت خبير بأنّ السكوت ليس قولاً ولا يدل على القول، ولا

⇨ بعيدة عن العمران، إنما هو للرعاة والمجتازة، وكان ماؤه ملحاً فعذب، فبعث رجلا يقال لَه مالك بن زعر ليطلب لهم الماء، : فَأَدْلَى دَلْوَهُ في البئر الذي كان فيه يوسف عليه السلام ليستسقي، فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل، فلما خرج إذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (أُعطي يوسف شطـــر الحسن، والنصف الآخر لسائـــر الناس) . [قصص الأنبياء للجزائري، ص١٦٠،باب : ٩] . فلما رآه قال : يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ .

(١) تفسير القمي، ج١، ص٣٤٢، سورة يوسف، آية : ١٩.. تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٣٣٦، سورة يوسف، آية : ١٩ . تفسير البرهان، ج٤، ص١٧٦، ح٢٩، سورة يوسف، آية : ١٩ .

(٢) عن أبي حمزة الثمالي، قال : صليت مع علي بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم الجمعة، فلما فرغ من صلاته وسبحته نهض إلى منـــزله وأنا معه، فدعا مولاة له تسمى سكينة، فقال لها : (لا يعبر على بابي سائل إلّا أطعمتموه، فإنّ اليوم يوم الجمعة، فقلت له : ليس كل من يسأل مستحقاً؟ .
فقال : يا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ونرده، فينـــزل بنا أهـــل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم أطعموهم، ⇦

على الرضا، لأنه أعم منه كتمان الحق بوجه من الوجوه، فلا يكون ذنباً ولا حاجة إلى تخصيصه بما قبل النبوة .

[الوجه الخامس]

ومن الوجوه : هم يوسف للزنـــا[1] لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ

⇦ .... [إلى أن وصل إلى قصة نبي الله يوسف عليه السلام] فقال : فلما أخرجوه أقبل إليهم أخوة يوسف، فقالوا : هذا عبدنا سقط منا أمس في هذا الجب، وجئنا اليوم لنخرجه، فانتزعوه من أيديهم وتنحوا به ناحية فقالوا : أما أن تقر لنا إنك عبد لنا فنبيعك على بعض هذه السيارة، أو نقتلك؟ ...) . [علل الشرائع، ج١، ص٦١، ح١، باب : ٤١ . تفسير البرهان، ج٤، ص١٦٣، ح٣، سورة يوسف، آية : ١٩] .

(١) الهم في اللغة على وجوه : منها : العزم على الفعل، كقوله تعالى : ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية : ١١] . أي أرادوا ذلك وعزموا عليه .

ومنها : خطور الشيء بالبال، وإن لم يقع العزم عليه، كقوله : ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [سورة آل عمران، الآية : ١٢٢] . يعني أن الفشل خطر ببالهم، ولو كان الهم هاهنا عزماً لما كان الله وليهما، لأن العزم على المعصية معصية، ولا يجوز أن يكون الله وليٌّ من عزم على الفرار عن نصرة نبيه صلى الله عليه وآله، ويقوي ذلك قول كعب بن زهير :

فَكَـــمْ فـــيهِم مِنْ فارِسٍ مُتَوَسِّعٌ وَمِنْ فاعِلٍ لِلْخَيْرِ إِنْ هَمَّ أَوْ عَزَمَ

[تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٣٤١، سورة يوسف، آية : ٢٤] .

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾[1] والهم بالزنا ذنب .

أجاب عنه : بأنَّ هم يوسف جبلّي، لأن ميل الرجل إلى المرأة جبلّي، ليس بنقص في حق الرجل، بل صفة محمودة غير اختيارية، انتهى .

أقول : هذا الجواب يراد ما لا يدل لفظه على كله، لأنَّ ظاهر لفظه أنَّ هذا الهم نقص، بل المراد كما قيل بهمه ميل الطبع، ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري[2]، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف، بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله من يكف عن الفعل عند قيام هذا الهم، أو مشارفة الهم، كقولك : قلته لو لم أخف الله .

وعن الرضا عليه السلام في جوابه للمأمون : (لقد همّت به، ولو لا أن رأى برهان ربه[3] لهمَّ بها كما همّت به، لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه)[4] .

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٢٤ .

(٢) راجع تفسير كنـــز الدقائق، ج٤، ص٦٠٦، سورة يوسف، آية : ٢٤ .

(٣) البرهان هو : (النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والحكمة الصارفة عن القبائح) . [تفسير كنـــز الدقائق، ج٤، ص٦٠٧، سورة يوسف، آية : ٢٤ . تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٣٤٤، سورة يوسف، آية : ٢٤] .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٤، ح١، باب : ١٥ . الاحتجاج، ج٢، ص٤٣٢، احتجاج الرضا عليه السلام على مسائل المأمون . قصص الأنبياء للجزائري، ص٢٦، خاتمة في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام . بحار الأنوار، ج١١، ص٧٨، ح٨، باب : ٤ .

ولقد حدثني أبي عن الصادق عليه السلام أنه قال : (همّت بأن تفعل، وهمَّ بأن لا يفعل)[1] .

وروي : (وهمّت بأن تفعل، وهم بأن يضربها)[2] .

وإذا تأملت هذه المحامل خصوصاً المروية، ظهر لك أنه ما هم ولا مالت نفسه، وحاشى نبي الله من القبيح، كما قال الرضا عليه السلام : (لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهم بذنب ولا يأتيه) .

وليس عند أهل البيت عليهم السلام فرق بين ما قبل النبوة وما بعدها، كما يظهر من كلام الرضا عليه السلام .

وما أحسن ما قيل .

وقيل : أنه للرازي[3] : إنَّ الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم يوسف،

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٤، ح١، باب : ١٥ . الاحتجاج، ج٢، ص٤٣٢، احتجاج الرضا عليه السلام على مسائل المأمون . قصص الأنبياء للجزائري، ص٢٦، خاتمة في بيان عصمة الأنبياء عليهم السلام . بحار الأنوار، ج١١، ص٧٨، ح٨، باب : ٤ . تفسير كنز الدقائق، ج٤، ٦٠٨، سورة يوسف، آية : ٢٤ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٤، ح١، باب : ١٥ . بحار الأنوار، ج١٢، ص٣٣٥، باب : ٩ .

(٣) الرازي هو : (أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين بن حسن بن علي المشهور بالفخر الرازي، التميمي النسب، والطبري الأصل والتربة، والشافعي المذهب، توفي سنة : «٦٠٦هـ») . [مراقد المعارف، ج٢، ص١٦٥، حرف : الفاء] .

والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، ورب العالمين، وإبليس، وكلهم قالوا ببراءة يوسف عن الذنب، فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب .

أما يوسف فقوله : ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾[1] . وقوله : ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[2] .

وأما المرأة فلقولها : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾[3]. وقالت : ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾[4] .

وأما زوجها فلقوله : ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[5] .

وأما النسوة فلقولهن : ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[6] . وقولهن : ﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾[7] .

وأما الشهود قوله تعالى : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ...﴾[8] .

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٢٦ .
(٢) سورة يوسف، الآية : ٣٣ .
(٣) سورة يوسف، الآية : ٣٢ .
(٤) سورة يوسف، الآية : ٥٨ .
(٥) سورة يوسف، الآية : ٢٨ .
(٦) سورة يوسف، الآية : ٣٠ .
(٧) سورة يوسف، الآية : ٥١ .
(٨) سورة يوسف، الآية : ٢٦ .

وأما شهادة الله بذلك فقوله ﷻ من قائل : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[1] .

وأما إبليس فقوله : ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾[2]، فقد أقر إبليس بأنه لم يغويه)[3] .

وعند هذا نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة : إن كانوا من أتباع دين الله فاليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من اتباع إبليس وجنوده، فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته .

وقال الزمخشري[4] في الكشاف، بعد أن ذكر أقوال الحشوية[5] في هَمَّ يوسف : (فمنهم من قال : همّت بمخالطته وهمَّ بمخالطتها .

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الحجر، الآيتان : ٣٩ -٤٠ .

(٣) تفسير كنز الدقائق، ج٤، ص٦٠٩، سورة يوسف، آية : ٢٤ . تفسير الصافي، ج٣، ص١٤، سورة يوسف، آية : ٢٤ .

(٤) الزمخشري هو : (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي الزمخشري، [ولد سنة : «٤٦٧هـ» وتوفي سنة : «٥٣٨هـ»] إستاذ فن البلاغة صاحب المصنفات المعروفة أساس البلاغة والأنموذج) . [الكنى والألقاب، ج٢، ص٢٩٨] .

(٥) الحشوية هم : (فرقة من المرجئة، وسموا بذلك لحشوهم في الكلام؛ كالقول بتجويز الذنوب على الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ما عدى الكفر والكذب) . [معجم الكلام، ص١٠٣، حرف الحاء، رقم : ٥١] .

ومنهم من قال : أنَّ يوسف حل الهميان، وجلس منها مجلس المجامع .

ومنهم من قال : بأنَّه حل تكة سراويله[1] وقعد بين شعبيها الأربع، وهي مستلقية على قفاها .

وفسر البرهان بأنَّه سمع صوتاً إياك وإياها، فلم يكترث له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمعه ثالثاً أعرض عنها، فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنمله .

وقيل : ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله .

وقيل : كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً، إلَّا يوسف فإنه ولد أحد عشر ولداً، من أجل ما نقص من شهوته حين هم .

وقيل : صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد ولا ريش له .

وقيل : بدت كف فيما بينهما ليس له عضد ولا معصم، مكتوب فيها : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[2] فلم ينصرف .

ثم رأى فيها : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[3] فلم ينته .

---

(١) التِكَّة هي : (رباط السراويل) . [المنجد في اللغة، ص٦٣، مادة : (تَكَّ)] .

(٢) سورة الانفطار، الآية : ١٠ - ١١ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٣٢ .

ثم رأى فيها : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[1] فلم ينجع فيه، فقال الله لجبرائيل عليه السلام : أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبرائيل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ .

وقيل : رأى تمثال العزيز .

وقيل : قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته، وقالت : أستحي منه أن يرانا .

فقال يوسف : استحيت ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي من السميع البصير، والعليم بذات الصدور)[2] .

وقال الزمخشري : (وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو[3] والجبر[4]، الذين دينهم بهست الله وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد، ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل، ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنُعِتَت

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٨١ .

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٢، ص٣١١ .

(٣) راجع تعريف هذه الفرقة في هامش رقم (٥) في الصفحة رقم (١٢٧) من هذا الكتاب .

(٤) راجع تعريف هذه الفرقة في هامش رقم (١) من الصفحة رقم (١١٨) من هذا الكتاب .

إليه، وذكرت توبته واستغفاره، كما نعيت على آدم زلته، وعلى داود، وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً[1] .

فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم، ناظراً في دليل التحريم وجه القبيح، حتى استحق من الله الثناء، فيما أنزل من كتب الأولين .

ثم ثنّى القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه، ومصداق لها، ولم يقتصر إلّا على استيفاء قصته، وضرب سورة كاملة عليها، ليجعل له لسان صدق في الآخرين[2]، كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام، وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الأزار، والتثبت في مواقف العثار، فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين، ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية، وفي حل تكته للوقوع عليها، وفي أن ينهاه ربه ثلاث كرات، ويصاح به من عنده ثلاث صيحات، بقوارع القرآن، وبالتوبيخ العظيم، وبالوعيد الشديد، وبالتشبيه بالطائر

---

(١) قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ . [سورة يوسف، الآية : ٢٤] .

(٢) مقتبس من قوله تعالى : ﴿وَجْعَلْ لِي لِسان صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ . [سورة الشعراء، الآية : ٨٤] .

الذي سقط ريشه، حين سفد غير أنثاه، وهو جاثم في مربضه لا يتخلخل، ولا ينتهي، ولا يتنبه، حتى يتداركه الله بجبرائيل وبإجباره .

ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم، وأحدهم حدقة، وأصبحهم وجهاً، ألقى بأدنى ما ألقى به نبي الله مما ذكروا، لما بقى له عرق ينبض، ولا عضو يتحرك، فيا له من مذهب ما أفحشه، ومن إضلال ما أبينه)[1] . انتهى كلام الكشاف .

فتدبر في كلام من لم ينظر إلى خصوص مذهب كالرازي[2]، وإلى كلام الزمخشري، وإن كان من العدلية، إلَّا أن ما نقله عنهم حق، وما قال فيهم حق، والحمد لله رب العالمين .

[الوجه السادس]

ومن الوجوه التي عارضوا بها : جعل يوسف سقايته[3] في رحل أخيه ليتهمه بالسرقة، وذلك خيانة، والخيانة ذنب .

أجاب : بأنَّ ذلك بموافقة أخيه ليقيم عنده، فلا يكون خيانة فلا يكون ذنباً .

---

(١) تفسير الكشَّاف في حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٢ ، ص٣١٢ .

(٢) راجع ترجمته هامش رقم (٣) في الصفحة رقم (١٢٥) من هذا الكتاب .

(٣) السقاية هي : (الإناء الذي يُسقى به) . [المنجد في اللغة، ص٣٤٠، مادة : (سَقَى)] . وهي هنا المشربة التي كان يشرب منها الملك .

أقول : هذا الجواب حسن في نقض هذه المعارضة، ويقال بأنَّ ذلك شيء فعله بأمر الله تعالى[1]، لقوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ...﴾[2] . فلا يكون فعل ما أمر الله به ذنباً[3] .

[الوجه السابع]

ومن الوجوه التي عارضوا بها : ما صدر عن أخوة يوسف[4] في

---

(١) تفسير مجمع البيان، ج٥، ص٣٨٧، سورة يوسف، آية : ٧٦ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

(٣) الغرض من جعل السقاية في رحل أخيه التسبب في احتباس أخيه عنده، كما قال : (أنه أعْلَم أخاه بذلك ليجعله طريقاً إلى التمسك به) [متشابه القرآن، ج١، ص٢٣٣ . تنـــزيه الأنبياء، ص٥٦، قصص يوسف ويعقوب . بحار الأنوار، ج١٢، ص٢٤٠، باب : ٩] .
ويجوز أن يكون ذلك بأمر الله ﷻ، وليس بمعرض له بالتهمة والسرقة، لأن وجود السقاية في رحله يحتمل وجوهاً كثيرة غير السرقة، ولا يجب صرفه إليها إلّا بدليل . [تنـــزيه الأنبياء، ص٨٦] .

(٤) أخوة النبي يوسف عليه السلام : إحدى عشر أخاً؛ وهم : (روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهودا، وريالون، ويشجر، وأمهم ليا ابنة خالة يعقوب، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له : يوسف، وبنيامين، وولد له من [زوجتين أخريتين] أحدهما اسمها زلفة، والأخرى بلهة، أربع بنين) . [قصص الأنبياء للجزائري، ص١٥٩، باب : ٩] .

إلقائه في غيابة الجب[1]، وإيذاء أبيهم، وكذبهم بأنّ الذئب أكل يوسف، وكل هذا ذنب .

أجاب : بأنّا لا نسلّم أنّ أخوة يوسف أنبياء، ولئن سُلّم أنهم أنبياء، فما صدر منهم لم يكن حال نبوتهم .

أقول : الجواب بأنهم ليسوا بأنبياء؛ هو الجواب .

وأما الجواب عن فرض التسليم فمبني على مذهبه، كما هو طريقته في تأييد مذهبه .

ووجه فرض التسليم أن بعضاً قال بنبوتهم مستدلاً بقوله تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ...﴾[2] .

والمراد بالأسباط : أخوة يوسف، وما أنزل إليهم هو الوحي، والمشهور بينهم، والمعروف عندهم أنهم ليسوا بأنبياء .

ففي العياشي عن الباقر عليه السلام أنه سُئل : (هل كان ولد يعقوب أنبياء؟.

قال : لا، ولكنهم كانوا أسباطاً، أولاد الأنبياء، لم يكونوا يفارقون

---

(١) الجُبّ هو : (البئر العميقة، سميت بذلك لأنها قطعت قطعاً) . [المنجد في اللغة، ص٧٧، مادة : (جبّ)] .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٣٦ .

الدنيا إلّا سعداء، تابوا وتذكروا ما صنعوا)[1] .

فإذاً فما المراد بما أنزل إليهم، قيل : الصحف، صحف إبراهيم، بمعنى أنهم يعملون وأقاموها بعد توبتهم .

وقيل : المراد من تولد منهم من الأنبياء بعد يوسف، فعلى ما هو الظاهر ليس لمعارضتهم بهذا الوجه معنى إلّا تكثير صور الأدلة، ترويجاً لفتنتهم .

---

(١) تفسير العياشي، ج١، ص٢٠٧، ح٨٣ . تفسير كنز الدقائق، ج٢، ص٣٥١، سورة البقرة، آية : ١٣٦. تفسير الصافي، ج١، ص١٩٢، سورة البقرة، آية : ١٣٦. تفسير مجمع البيان، ج١، ص٤٠٥، سورة البقرة، آية : ١٣٦ . بحار الأنوار، ج١٢، ص٢٩١، ح٧٥، باب : ٩ .

فصل

[تنزيه نبي الله داود عليه السلام من الذنب]

[الوجه الثامن]

ومن الوجوه التي عارضوا بها : قصة داود عليه السلام[1] والطمع في امرأة أخيه «أوريا» كما قال الله تعالى على لسان الملائكة : ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[2]، وكل ذلك ذنب .

أجاب : (بأنَّ قصة داود عليه السلام لم تثبت صحتها على ما ذكروه، والآية لم تدل على ما ذكره، بل تحتمل غيره، هذا حال عصمة الأنبياء

---

(١) نبي الله داود هو : (داود بن إيشا، بن عويذ، بن باعز، بن سلمون، بن نحشون، بن عمى نوذب، بن رام، بن حصرون، بن فارس، بن يهوذا، بن يعقوب، بن إسحاق عليه السلام) . [الكامل في التاريخ، ج١، ص٢٢٣] .

(٢) سورة القصص، الآية : ٢٣ .

بعد الوحي .

أما قبل الوحي فالأكثرون منعوا جواز الكفر، وإفشاء الكذب، والإصرار على الذنب، لئلا تزول عن النبي الثقة بالكلية، وجوزوا صدور المعصية منه على سبيل الندور، كقصة أخوة يوسف .

والروافض أوجبوا عصمة الأنبياء من الكذب والمعاصي مطلقاً، كبيرة أو صغيرة، عمداً أو سهواً، قبل البعثة أو بعدها) . انتهى ما نقلته من شرح الطوالع .

أقول : ما ذكره المجيب من أنّ قصة داود عليه السلام لم تثبت على ما ذكروه صحيح، لأن ذلك من روايات الحشوية[1] الذين يفترون على الله الكذب، بل الثابت من قصته ما رواه في العيون عن الرضا عليه السلام قال : (وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟ .

فقال : علي بن محمد بن الجهم، يقولون : إنّ داود عليه السلام كان في محرابه يصلي، فتصور له إبليس على صورة طير، أحسن ما يكون من الطيور، فقطع داود عليه السلام صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار، فخرج الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير، فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هويها، وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدم

---

(١) راجع تعريف هذه الفرقة هامش رقم (٥) من الصفحة رقم (١٢٧) من هذا الكتاب .

أوريا أمام التابوت فقدم، فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم، فقتل أوريا، وتزوج داود عليه السلام بامرأته .

قال : فضرب الرضا عليه السلام بيديه على جبهته وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته، حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل؟! .

فقال : يا بن رسول الله فما كانت خطيئته؟ .

فقال : ويحك! إنَّ داود عليه السلام إنما ظن أنَّ ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسوروا المحراب، فقالا : ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[1]، فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه .

فقال : ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾[2]، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه، فيقول له : ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم حكم لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع الله عز وجل يقول : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ

---

(١) سورة ص، الآيتان : ٢٢-٢٣ .

(٢) سورة ص، الآية : ٢٤ .

شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[1] .

فقال : يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا؟ .

فقال الرضا عليه السلام : إنَّ المرأة في أيام داود عليه السلام إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً، فأول من أباح الله عز وجل أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام، فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا)[2] .

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : (﴿وَظَنَ دَاوُدُ﴾[3] : يعني عَلِم، ﴿وَأَنَابَ﴾ أي : تـــاب، وذكر أنَّ داود كتب إلى صاحبه أن لا تقدم أوريا بين يدي التابوت ورده، فقدم أوريا إلى أهله فمكث ثمانية أيام ثم مات)[4] .

أقول : لعلَّ المراد من قوله عليه السلام : (فكان هذا خطيئة رسم حكم)

---

(١) سورة ص، الآية : ٢٦ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٧٠، ح١،باب : ١٤ . أمالي الصدوق، ص٨٢، ح٣، مجلس : ٢٠ . قصص الأنبياء للجزائري، ص٣١٩، قصته عليه السلام مع أوريا . بحار الأنوار، ج١٤، ص٢٠، ح١، باب : ٢ . تفسير البرهان، ج٦، ص٤٧٣، ح٨، سورة ص، آية : ٢٤ .

(٣) سورة ص، الآية : ٢٤ .

(٤) تفسير القمي، ج٢، ص٢٠٦، سورة ص، آية : ٢٤ . تفسير البرهان، ج٦، ص٤٧٢، ح٧، سورة ص، آية : ٢٤ . بحار الأنوار، ج١٤، ص٢٠، ح١، باب : ٢ .

: إنه ترك الأولى، لأنه ربما علم صدق الدعوى بقرائن حصل له بها العلم، إلّا أنّ أدب الشرع يقتضي سؤال المدعى عليه، وإن كان يجوز له الحكم بدون السؤال، كما هو المشهور الصحيح في المسألة، فكانت هذه الفتنة من ترك الأولى .

فاستشهاد الرضا عليه السلام بقوله تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ...﴾[1]، يدل على أنه عالم بالمسألة، معصوم عن الخطأ فيها، لاستخلاف الله له في أرضه على عباده .

وقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2]، ليس ذلك عتاباً له لتقصير وقع منه، بل هو بيان له وإرشاد إلى مراد الله سبحانه عند أول جعله خليفة .

ويؤيد تنـــزيهه عما روت الحشوية[3] ما رواه الطبرسي في المجمع عن أمير المؤمنين عليه السلام : (لا أوتى برجل يزعم أنّ داود عليه السلام تزوج امرأة أوريا إلّا جلدته حدين، حداً للنبوة، وحداً للإسلام)[4] .

---

(١) سورة ص، الآية : ٢٦ .

(٢) سورة ص، الآية : ٢٦ .

(٣) راجع تعريف هذه الفرقة هامش رقم (٥) في الصفحة رقم (١٢٧) من هذا الكتاب .

(٤) تفسير مجمع البيان، ج٨، ص٧٣٦ . وقريب منه في تنـــزيه الأنبياء، ص١٣٢ . وبحار الأنوار، ج١٤، ص٢٦، ح٦، باب : ٢ .

وروي أنه قال : (من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين) .

والحاصل : أنّ كل ما أوردوه في إثبات معاصي الأنبياء عليهم السلام غير ما ذكر من الكتاب والسنة .

والجواب عنه مع قوة معارضه عليه من نحو ما ذكرنا في جواب ما ذكروا سابقاً[1] .

---

(١) راجع الفصل السادس من هذا الكتاب .

فصل

[المخالفون القائلون بوقوع المعاصي من الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة]

وما ذكره المخالفون من وقوع المعاصي منهم قبل البعثة، توهماً منهم أنَّ العصمة لا ترسخ ولا تتم إلَّا بالوحي وتتابعه غلط .

لأنهم يقررون أنَّ الملكة النفسانية قبل أن تكون راسخة تسمى حالاً، فإذا رسخت تصير ملكة، والعصمة هي الملكة، لأنها تتوقف على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، لأنه إذا علم بمناقب الطاعات ومثالب المعاصي يرغب في الطاعات ويرغب عن المعاصي، وتتابع الوحي مؤكد لها لتتابعه على تذكير ذلك العلم وهذا مبني على أنها مكتسبة بعد توجه التكليف بالأعمال الظاهرة من غير حصول أصل مقتض لها في أصل بنية الشخص وتخلقه من روحه وطينته، ولذا قالوا : جعلها أنها هي كون الشخص، بحيث يمتنع منه الذنب بخاصيته في نفسه، أو بدنه ممنوع

ذلك بالعقل والنقل، كما يأتي في دليلهم، وهو غلط لما أشرنا إليه سابقاً[1] من أن روح المعصوم نورانية لقربها من الفيض، كما قربت الأشعة من السراج، فإنه نوراني لضعف ظلمته وأنيته، وإنَّ طينته طيبة صافية نورانية لبعدها عن تصادم العناصر وتعاودها، لأنها من عناصر نورانية مخزونة مكنونة تحت العرش .

وقد أشار إليها سبحانه بقوله : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ﴾[2]، أي تكاد تلك الطينة تحيى ولو لم تحلها روح، ولأجل شرفها وقربها وتأهلها لتلك الروح الربانية ظهرت فضائله؛ وهو حمل في بطن أمه، وحين ولادته، وحال طفولته، حتى ظهرت له معاجز ودلائل وكل ذلك قبل التكليف، وقبل العلم الذي يدَّعونه، وقبل الوحي، بل لا يوضع الوحي إلَّا في الموضع الصالح له، بكونه قابلاً له، محتملاً بحقيقة ما أهله أعباء الوحي، قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[3] هذا في روحه وطينته، ومع ذلك يكون مصطنعاً لله سبحانه بعنايته به، محفوفاً باللطف، مغموساً في الرحمة، كما تقدم في قوله في الزيارة التي رواها محمد بن عثمان بن سعيد العمري قال : (أنى ولكم القلوب التي تولى الله رياضتها... إلخ)[4]،

---

(١) راجع الفصل السابع من هذا الكتاب .

(٢) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

(٤) راجع هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٣١) من هذا الكتاب .

وهو تركيب اللطف والاختصاص، كما تقدم عن خطبة علي عليه السلام يوم الغدير والجمعة بقوله : (استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه به، انـــفرد عن التشاكل والتماثل.. إلخ)[1] .

وكل هذا وأمثاله بخاصية في نفسه وبدنه قبل الوحي، بل قبل التكليف، بل قبل الولادة، ومقتضى هذه البنية التخلق بتلك الملكة فينشأ مهذباً مطهراً زاكياً طيباً، يخوض في النور، ويمشي في النور، وينظر في النور، وينام في النور .

فتقتضي الحكمة وضع الوحي في موضع صالح له، فيوضع فيه، مؤيداً بروح القدس، مسدداً في الأفكار والأقوال والأعمال، عن استحقاق منه لذلك .

وذلك الاستحقاق هو استعداده وقبوله لتلك المراتب العالية عن اختياره مع قدرته على خلاف ذلك؛ يعني أنَّ قوله واستعداده بأعماله الباطنة والظاهرة عن اختيار، من غير اضطرار ولا جبر ولا جبْل .

ولو وجد فيه ما يقتضي شيئاً من الذنوب من ظلمة أو كدورة ولو جواز الميل، بمعنى اقتضائه لأصل فيه، لما ناله عهد الله الذي هو الإمامة والنبوة، لأنه تعالى يقول : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2] .

---

(١) راجع هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٣٢) من هذا الكتاب .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٢٤ .

وكما تقدم في كلام أمير المؤمنين عليه السلام المنقول من خطبة يوم الغدير، في قوله في وصف النبي صلى الله عليه وآله : (فهو أهل ذلك بخاصته وخلته، إذ لا يختص من يشوبه التغيير، ولا يخالل من يلحقه التظنين)[1] ولا ريب أنّ هذا كله قبل الوحي .

فلا يجوز عليه شيء مما جوزه الخصم قبل الوحي، وإلّا لاختص سبحانه من يشوبه التغيير، لأن عدم الشوب سابق على الاختصاص الذي أريد للوحي، فافهم إن كنت تفهم .

والعقل والنقل اللذاين منع بهما الخصم كون الشخص بحيث يمتنع عنه الذنب بخاصية في نفسه أو بدنه، هو قولهم : أما العقل فلأنه لو كان كذلك لما استحق صاحبها المدح على عصمته، ولامتنع تكليفه، وبطل الأمر والنهي، والثواب والعقاب .

وجوابه : أنه إنما لم يستحق المدح على عصمته لو كان كونه كذلك من الله، وصنعه من غير اعتبار شيء من الشخص، عن قابليته واستعداده اللذين هما جزء الصنع، ولا من كسبه لتلك الأوصاف والتكاليف، كما هو مذهب المانعين، فإنهم مع قولهم : أنّ كل شيء من الأوامر والنواهي وما يرتبط بها من الله، قالوا : لا بد من إثبات الكسب للعبد، وإلّا لبطل المدح والذم، والثواب والعقاب .

---

(١) راجع هامش رقم (١) في الصفحة رقم (٣٢) من هذا الكتاب .

فإذا كانوا مع اعتقادهم : أنَّ كل شيء من الله تعالى، من التكليف والأمر والنهي، والخير والشر، وجميع القدر والإرادات، وجميع الأسباب، صححوا استحقاق المدح والذم، والثواب والعقاب، والتكاليف بإثبات معنى موهوم لا أصل له؛ وهو الكسب، فكيف يحكمون بعدم استحقاق شيء من ذلك إذا قيل بثبوت العصمة، أو دواعيها وقوابلها، أو مقتضاها بخاصية في نفسه أو بدنه؟، مع ما سمعت من الله سبحانه يقول : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1] .

وبمفهوم قوله تعالى : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2]، إنَّ عهده تعالى ينال المتقين السابقين والصادقين، فإنه مشعر بأنَّ العهد إنما ينال من كان طيب العنصر، زاكي الأصل، بل الدليل منقلب، فإنه لو لم يكن أصل المنع من الذنب ذاتياً للشخص - والعصمة في الحقيقة إنما هي ثمرة ذلك الأصل - لكانت العصمة على خلاف مقتضى ذاته وأصله .

فإذا قال الخصم : (إن العصمة ألا يخلق الله في المعصوم ذنباً)[3] فكانت ذاته مقتضية للذنب، لزم ألا يستحق مدحاً على عصمته، إذ لا مدخل له فيها ولا ثواباً ولا عقاباً، لأنَّ استحقاقه ذلك عند المخالف إنما بكسبه، ولا كسب له حينئذٍ، لأنَّ الكسب إنما يكون لأمر ذاتي، وإلَّا لما كان

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٢٤ .

(٣) راجع الصفحة رقم (٦٤) من هذا الكتاب .

منه ولا ينسب إليه، والمباشرة التي يدَّعونها إنما تثبت لنوع ملاءمة ومناسبة في ذاته ولا مطلق القبول .

وإذا كانت ذاته على خلاف ذلك أو خالية من جهة مناسبة أو ملاءمة كانت منافرة لذلك فيكون أجنبياً مما ينسبه المدعي إليه من كسب أو مباشرة، فتكون المباشرة لذلك العمل غير مباشرة ولا كسب، بل كمباشرة سائر ثيابه، بخلاف ما لو أثبت الخاصية الذاتية، فإنه يثبت له الكسب والمباشرة اللذين تتوقف عليهما صحة التكليف، والمدح والذم، والثواب والعقاب، هذا على أصله .

وأما ما هو على الحق والواقع أنَّ المقتضي لاستحقاق العصمة سابق على التكليف، بل على الولادة، كما يرويه الخصم في ميلاد النبي صلى الله عليه وآله، من نزول الملائكة حتى ضاقت بهم الأرض والفضاء، وطرد الشياطين عن استراق السمع من السماء بالشهب، وانشقاق إيوان كسرى، وخمود نيران فارس، وغور بحيرة ساوه، وغير ذلك[1]، وليس هذه وما أشبهها إلَّا آيات ومعجزات لظهور الحقيقة الربانية، وبروز التجلي الأعظم .

وهذه الحقيقة — بتكونها النورانية وقابليتها— تقتضي تنـــزل الوحي، وتقتضي الاستخلاف الإلهي لذاتها، كل ذلك قبل التكليف وقبل الوحي، ولو جاز عليها صدور الذنب لذاتها لما جاز عليها، إلَّا لكونها مقتضية

---

(١) راجع روضة الواعظيـــن، ج١، ص٦٦، باب : ٢ . بحـــار الأنوار، ج١٥، ص٢٨٨، باب : ٣ .

لذلك لذاتها، وإذا كانت كذلك لم تقتض لضده لذاتها، ولو اقتضت الضد حينئذٍ لموجب غير ذاتها لم تستحق مدحاً عليه .

وقد ذكرنا سابقاً أنهم يحملون كلامنا إذا قلنا : (يمتنع صدور الذنب عنهم)، على الامتناع العقلي؛ يعني : عدم كونه ممكناً مغالطة منهم، أو عدم معرفة منهم بالكلام .

وبينا أنَّ المراد بكلامنا : عدم وقوع شيء من الذنوب مع القدرة عليه، ووجود دواعي التمكن من الذنب، ولكن الخلق الإلهي، والاستعداد الرباني، وصفاء الروح، وطيب الطينة، وتوالي الألطاف الإلهية، والتأييدات الصمدانية مستولية على دواعي الذنوب والتمكن منها، والميل إليها، استيلاءً مانعاً لاقتضائها لمتعلقاتها غير مستهلك لها، بل الشخص باق على حكم الاختيار .

ومرادي في أول الجواب : أنه إنما لم يستحق المدح على عصمته لو كان كونه كذلك من الله تعالى، وصنعه من غير اعتبار شيء من الشخص... إلخ، وأنَّ الشيء المخلوق لا يكون بسيطاً، كما قال الرضا عليه السلام : (إنَّ الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته)[1]، للذي أراد من الدلالة عليه بل لا يكون إلَّا مركباً من وجود وماهية، ومن ميل كل منهما إلى الاستمداد من نوعه، وعن مقتضى الضدين، نشأ الاختيار؛ لأنه التردد بين

---

(١) راجع في مضمون هذه الرواية عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٣٩، ح١، باب : ١٢ . التوحيد، ص٤٣٩، باب : ٦٥ . بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٠٠، ح١، باب : ١٩ . ونحن لم ندرجها في هذا الهامش لطولها .

مقتضى الميلين، والتكليف دائر مدار الاختيار نفياً وإثباتاً، ولا مناص عن هذا لأحد، فإنه لا ينكره إلّا منكر لوجدانه، مكابر لعقله وعيانه .

فمن عرف هذا كيف يمنع أنّ العصمة كون الشخص بحيث يمتنع عنه الذنب بخاصية في نفسه أو بدنه؟، مع ما بينا من الإشارة، إلى نوع تخلق المعصوم، وإنّ العصمة ثمرة تلك البنية الطاهرة، لأن تلك البنية مقتضية لظهور العصمة فيها .

وإلى هذه الإشارة في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، فافهم لهذا الكلام المكرر، المردد الميسر المذكر، فهل من مدكر؟ .

وأما النقل، فلقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[3]، فإنّ الآية الأولى : تدل على أنّ النبي صلى الله عليه وآله مثل الأمة في حق جواز صدور المعصية منه .

والآية الثانية : تدل على أنّ الله تعالى ثبت على عدم الركون إليهم، وإلّا لركن إليهم، فيكون الركون إليهم الذي هو ذنب غير ممتنع، انتهى .

وجوابه : أما قوله : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، فالمراد أنه سبحانه

---

(١) سورة القلم، الآية : ٤ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٧٤ .

أظهره لهم في صورة المماثلة، ليتم لهم الانتفاع بما هو مثلهم .

ولو خرج لهم على ما هو عليه لم يقدر أحد من البشر أن ينظر إليه، فضلاً أن يكلمه، أو أن ينتفع به، وذلك كما قاله : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾[1]. يعني : إنا أرسلنا إليهم ما هو مثلهم، حتى إذا أتاهم بمعجز يشهد له صدقوه، لأنهم مثله، ولا يقدرون أن يأتوا بمثل ما أوتي به، وحتى ينتفعوا بمخاطبته لأنه من جنسهم وبلسانهم .

ولو جعله الله ملكاً كما اقترحوا عليه لكان إذا أتاهم بمعجز عند الملائكة قالوا : الملائكة يقدرون على مثل هذا، فلا يكون الله تعالى مصدق لك بإظهار هذا المعجز، وليس أيضاً بمعجز عند الملائكة وإنما هو معجز بالنسبة إلى نوعنا، ولما قدرو أيضاً أن يتلقوا منه، لأن لسانه غير لسانهم، وجنسه غير جنسهم .

فلو جعله الله ملكاً لاقتضى اللطف بالعباد، والحكمة جعله رجلاً ليتم فائدة البعثة بالمماثلة، والإتيان بالمعجزات الباهرة ينافي المماثلة، كما هو الواقع، فأثبت لهم العبودية بالإقرار وبما يعلمونه، أخبرهم بأني لا أدعي الإتيان بما أتيتكم به من نفسي، وإنما هو من الله، أوحى إلي ما أوحى .

وليس المراد من الآية أني مثلكم؛ يعني مساوياً لكم في الحقيقة، وإنما الفرق بيننا بالوحي، وإنما المراد منها الاعتراف بالعبودية لدفع توهم المشركين والمنافقين عليه دعوة الربوبية .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩ .

وأما قوله تعالى : ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1] ، فهو على نحو ما ذكرنا .

وقوله : ﴿ولكن الله يمن...﴾ مثل قوله : ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ لأنا إذا قلنا : أنَّ العبد المعصوم يستحق التأييد والوحي والتقريب، والعصمة وغير ذلك، لا نريد أنَّ ذلك له بأصل الكون أو الإمكان، بل نريد أنَّ الله سبحانه لا يخلق شيئاً من خلقه بمقتضى محض فعله خاصة، وإلَّا لتساوت المخلوقات، لأنَّ نسبتها إليه على السواء، بل لاتحد المخلوق، ولم يحصل التعدد، لأن التعدد إنما نشأ من القوابل المختلفة والمشخصات المتكثرة المتغايرة، وإنما نريد أنَّ كل خير فهو من فضل الله وفعله على جهة الابتداء والتفضل، إلَّا أنه يضع الأشياء على مقتضى الحكمة لا على الإهمال والعبث كما يزعمه الزاعم، وإلَّا لزم لو كان الصنع بمقتضى محض فعله، أو على جهة الإهمال والاتفاق والعبث، أن يسعد الشقي، ويشقى السعيد، ويبعد القريب، ويقرب البعيد، ويخلف الوعد والوعيد، ويظلم العبيد، بمعنى أنه كان منه ذلك أو يكون، لا بمعنى أنه يمكن له ويقدر عليه، فإنا نعلم ونعتقد أنه تعالى على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء، ولكن نريد أنه فعل ذلك أو يفعل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، قال عليه السلام : (وإنما يعجل من يخاف الفوت، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف)[2] .

---

(١) سورة إبراهيم، الآية : ١١ .

(٢) الصحيفة السجادية، ص٢٤٠، دعائه يوم الأضحى ويوم الجمعة.إقبال الأعمال، ص١١٨ . جمال الأسبوع، ص١٦٢، فصل : ٥ .

فإذا ثبت في اللطف والحكمة أنه يضع الأشياء المستحقات مواضعها على قدر الاستحقاق، كما هو شأن المدبـــر الحكيم الخبير العليم، وكما أشار إليه من قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[1]، كان الشخص المخلوق لو لم يكن أهلا، وأعطاه الله من العصمة والوحي وغير ذلك، لبغى في الأرض وادعى ما ليس له من الربوبية .

وهذا هو السر في كتمان الاسم الأعظم الأكبر عن غير أهل العصمة؛ لأنَّ الاسم لو وقع عند غير أهله لأفسد النظام، وأهلك الأنام .

فلو كانت المماثلة في الحقيقة، وفي أصل الخلقة لزم ما قلنا، ولا ينافي ما قلنا : إنَّ كل خير فمن الله ابتداء، فافهم .

ألا ترى أنَّ الوحي لا ينـــزل على الشياطين ولا المفسدين، وإنما ينـــزل على من هو أهل لذلك لأصل فطرته : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2] .

وأما قوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِـــدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾[3]، فَرُوي لما كان يوم الفتح أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله أصناماً من المسجد، وكان هاهنا صنم على المروة، وطلب إليه قريش أن يتركه وكان

---

(١) سورة الشورى، الآية : ٢٧ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٢٤ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٧٤ .

صبيحاً، فهم بتركه، ثم أمر بكسره، فنـــزلت [الآية][1] .

وكانت عادته عجل الله فرجه مع رسول الله صلى الله عليه وآله فعل ما يرفع التوهم فيه عنه، ويحبب القلوب إلى طريقته وحسن سيرته، وكان صلى الله عليه وآله لا ينطق إلّا عن أمر الله، ولا يتقول شيئاً، قليلاً أو كثيراً على الله تعالى، ولا يسبق فكره وقلبه إرادة الله أبداً، وإنما هو تابع لأمره في قوله وعمله، وسره وعلانيته، ولم يأمره الله تعالى بكسر ذلك الصنم ولا إخراجه .

وقد أعلمه الله حقائق الأشياء، وأطلعه على أسرار الخليقة، ومما أراه الله تعالى أنّ الأشياء مرهونة بأوقاتها، فلم يأمره الله بكسره، ولا بإخراجه، انتظر نزول مراد الله فيه، فهم بتركه حتى ينـــزل مراد الله تعالى فيه، ثم أمر بكسره فكسره .

---

(١) عن أبي يعقوب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله : ﴿وَلَوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ قال : (لّما كان يوم الفتح أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله أصناماً من المسجد، وكان منها صنم على المروة، وطلبت إليه قريش أن يتركه، وكان مستحياً فهم بتركه، ثم أمر بكسره، فنـــزلت هذه الآية) . [تفسير العياشي، ج٢، ص٣٢٩، ح١٣٢، سورة الإسراء، آية : ٧٤ . تفسير البرهان، ج٤، ص٥٩٥، ح٥،سورة الإسراء، آية : ٧٤ . تفسير كنـــز الدقائق، ج٥، ص٥٧٨، سورة الإسراء، آية : ٧٤ . تفسير نور الثقلين، ج٣، ص١٩٧ . سورة الإسراء، آية : ٧٤ . تفسير الصافي، ج٣، ص٢٠٨، سورة الإسراء، آية : ٧٤] .

وقوله : ﴿وَلَوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ ...﴾[1]، يراد منه أنَّ تركه الصنم انتظاراً لمراد الله، لم يكن قبل سؤال قريش ليعلم الناس أنه تركه انتظاراً لأمر الله، وإنما كان سؤالهم قبل الترك، فإذا تركه بعد سؤالهم علم الناس أنه صلى الله عليه وآله أطاعهم في الجملة، وحصل منه ركون ما إليهم .

فبادر سبحانه بأمره لنبيه صلى الله عليه وآله قبل أن يحصل عند الناس أنه حصل منه ميل، لأن الناس لا يعلمون ما في قلبه، وإنما يعرفون ما ظهر من فعله، فليس همه بتركه إجابة لهم، وإنما لانتظار أمـــر الله، وهو صلى الله عليه وآله لا يسبقه بالقول، وهو بأمره يعمل[2]، ولو أظهر هذا المعنى لما قبله الناس، فخاطبه بخطاب غيره، لأن هذه الآيـــة نزلت من قبيل : (إياك أعني واسمعي يا جارة)[3] .

فقوله : ﴿وَلَـــوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾[4]؛ يعني بأنَّ أمرناك بكسره، لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً، يعني لولا أن ثبتنا ما يظهر من فعلك على ظاهر الصواب لقد كان يظن بسبب تركك أنك ركنت إليهم شيئاً قليلاً، ولو فعلت ذلك مع ما قربناك وعلمناك أنَّ الركون إليهم شرك، مثل قوله

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٧٤ .

(٢) مقتبس من قوله تعالى : ﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ . [سورة الأنبياء، الآية : ٢٧] .

(٣) راجع هامش رقم (٣) في الصفحة رقم (٨٨) من هذا الكتاب .

(٤) سورة الإسراء، الآية : ٧٤ .

: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1]، وأيدناك حتى لا تخشى أحداً إلّا الله، وقويناك على من عاداك : ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾[2]، أي ضعف عذاب الحياة في الدنيا، وضعف عذاب الممات في الآخرة .

ولما كان الخطاب له والمقصود غيره، قال : لما نزلت هذه الآية تنبيهاً للغير وتعليماً لهم، بالانقطاع إلى الله سبحانه، والبراءة من الحول والقوة، قال : (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً)[3] .

قال في الكشاف في تفسير هذه الآية : ﴿ وَلَوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ...﴾[4] قال : (وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت، وفي ذلك لطف للمؤمنين[5] .

وقال بعد قوله : ﴿إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ...﴾[6] وفي ذكر الكيدودة وتعليقها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين، دليل بين على أنّ القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله، وارتفاع منـــزلته، ومن ثم استعظم مشائخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة[7] القبائح إلى الله، تعالى عن

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٧٥ .

(٣) تفسير الصافي، ج٣، ص٢٠٨، سورة الإسراء، آية : ٧٤ .

(٤) سورة الإسراء، الآية : ٧٤ .

(٥) تفسير الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٣، ص٤٦٠ .

(٦) سورة الإسراء، الآية : ٧٥ .

(٧) راجع هامش رقم (١) في الصفحة رقم (١١٨) من هذا الكتاب .

ذلك علواً كبيراً .

وفيه دليل على أنَّ أدنى مداهنة للغواة مداهنة لله، وخروج من ولايته، وسبب موجب لغضبه نكاله، ... إلخ)[1] .

أقول : الأمر كما قال؛ وهو يدل على تنـــزه مقام النبوة عن أدنى ما فيه نوع وهن، ولقد وردت الروايات المتعددة أنَّ هذه الآية وما أشبهها مما فيه شائبة عتاب له صلى الله عليه وآله، إنما نزلت : (بإياك أعني واسمعي يا جارة)[2]، لأنه لما كان المعني بها وأمثالها الأمة، خاطب بها نبيه صلى الله عليه وآله والمعنى لأمته .

وإنما قال تعالى : ﴿ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾[3] والمعنى لغيره، ولا يكون الضعف إلَّا إذا كان المعنى له، لأن الخطاب لما توجه له، ذكر له حكم نفسه تشديداً في التخويف، ولطفاً في التكليف، فيقول من دونه : إذا كان هذا حاله لو ركن إليهم شيئاً قليلاً مع شرفه وقربه من ربه، وخلق الأشياء كلها له، فكيف حال من سواه؟! فيكون لطفاً في التكليف .

---

(١) تفسير الكشاف عن حقائق التنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٣، ص٤٦١ .

(٢) راجع هامش رقم (٣) في الصفحة رقم (٨٨) من هذا الكتاب .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٧٥ .

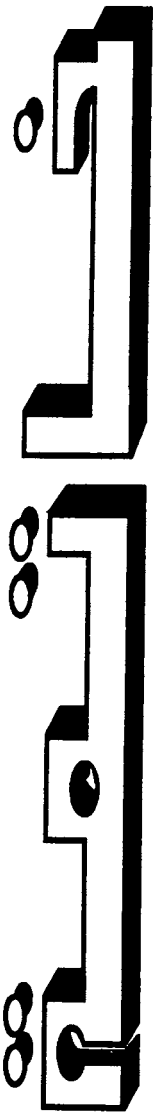

خاتمة

[الإشكالات الواردة على الإمامية من بعض المخالفين]

اعلم وفقك الله أنه قد سألني بعض السادات الأجلاء عن مسألة اشتهرت عن المخالفين، أوردت على الإمامية في اعتقادهم وجوب عصمة الإمام، وعدم جواز خلو الزمان من المعصوم مع خلوه الآن من المعصوم، والاكتفاء بالأخذ من علمائهم مع عدم عصمتهم، وجواز ذلك ينافي اعتقادهم عدم جواز خلو الزمان من المعصوم؟ .

فكتبت جوابه، فأحببت أن ألحقه بهذه المسألة ليكون خاتمة له .

وصورة السؤال :

ما حاجة المكـــلفين إلى عصمة المعصوم عليه السلام؟، ويتفرع عليه أنه إن كانت الحاجة إلى ذلك للأمن من الخطأ في التبليغ إلى المكلفين ليعبدوا ربهم باليقين، لأنه لا يعبد بالشك والتخمين، إذا أمكن عبادته باليقين الصرف، لا يقبلها على حرف

لزم عدم جواز الزمان في كل آن، من معصوم ظاهر يتلقون عنه النواهي والأوامر، لأن ذلك لطف في التكليف، ورأفة عند التعريف، ولزم عدم جواز الأخذ من غير المعصوم للعلة المذكورة، وهذا خلاف الواقع في هذا الزمان، ووقوع ذلك مع اعتقاد أنه تعالى لا يخل بواجب في الحكمة دليل على عدم احتياجهم إلى متصف بالعصمة .

وثبوت ذلك دليل على جواز الخطأ والغفلة على الوسائط بين الله وبين خلقه، المستلزم لهدم بنيان مثبتها، وتزعزع أركان مدعيها .

الجواب : اعلم إنَّ جواب هذه المسألة المشكلة، مع جميع ما يتفرع عليها يتوقف على تقديم إشارة إلى كلمات ينكشف بها لأولي الألباب صريح الجواب .

فأقول -ومن الله إلهام الصواب، وإليه المرجع والمآب- : اعلم أنَّ الله سبحانه لما كان كنهه تفريقاً بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، كان لا يعلم أحد كيف هو، في سر وعلانية، إلَّا بما دل على ذاته بذاته، ولا يعرفه أحد إلَّا بما تعرف به إليه، فهو الدليل والمدلول عليه، وكل ما وصلت إليه الأفهام، وحامت حوله الأوهام، فهو مثلها مردود عليها .

وحيث أحب من عباده أن يعرفوه، وطلب منهم أن يعبدوه، تأصيلاً للرحمة، وإسباغاً للنعمة، وكانوا لا يعرفون ما يليق بعزّ جلاله، وإنما يعرفون ما يليق بهم، وجب في الحكمة أن يبعث إليهم روحاً حميصة من أمره، وأن يلبسه قالباً من بشريتهم ليجانسهم ويؤانسهم بظاهره، كاملاً

قوياً في ظاهره، يقدر على ترجمة التعريف بلسانهم، قال تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾[1]، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[2] .

والمراد بوجوب ذلك في الحكمة وجوبه في عالم الإمكان والحدوث، ومعناه : لا يجري الإمكان إلّا على مقتضى الحكمة، ولا يخرج الموجود الحادث في كل رتبة من تطوراته إلّا مبيناً مشروحاً على أكمل وجه، في البيان في كل رتبة بحسبها، فما بطن خفي ظاهراً بيانه، وما ظهر استعلن برهانه .

وحيث كان ذلك التعريف الذي هو مبدأ التكليف سبباً وسبيلاً بين مختلفين في كل جهة من كل جهة، لما لوحنا لك أنّ الوجوب بخلاف الحدوث، و لا نريد أنه بعكسه، فيعرف بضده إذ لا ضد له، فإنّ الحرارة تعرف بالبرودة، والرطوبة باليبوسة، على أنه لو كان كذلك لم يكن عنه شيء منه، بل نريد أنها ليست كمثله، إذ لا ندّ له، فيكون في عزه وغناه مشاركاً، وفي ذاته وصفاته وأفعاله مماثلاً : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3] .

وكان الترجمان والواسطة بين المختلفين موافقاً لجهة العلياء للتكليف، ومبدئه وتلقيه، وبجهة السفلى للتبليغ والتعريف، وكان ذلك

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ٤ .

(٣) سورة الصافات، الآية : ١٨٠ .

التكليف على ما هم عليه، ومذكورون به في المشيئة فجرى هناك بذكرهم على ما يعرفونه من أنه أنفسهم هنا، لأنه في الحقيقة ثناء على من لا يعرفونه، إلّا بما وصف لهم نفسه على لسان الترجمان، وجب في الحكمة أن تعتبر عصمة الترجمان في التبليغ، إذ لو جاز عليه الخطأ لجاز أن يكون فيما بلّغ غير ما أمر به، وهو غير ما يراد منهم، فلا يجب قبول شيء من قوله، لأنه إذا جاز في مسألة جاز في أخرى، فإما أن يلزم من ذلك قول البراهمة، أو يرتفع التكليف إذ لا فرق حينئذٍ بينهم وبينه .

وقد ثبت بطلان قول البراهمة، وثبت بقاء التكليف، وبه دار الفلك، فثبتت الحاجة إلى عصمة الترجمان عن الله تعالى .

ثم لما كان مقتضى القدر والقضاء الإلهيين الجاريين على مقتضى الحكمة في إيجاد الموجودات، عدم بقاء هذا الترجمان إلى انقضاء وقت التكليف، لسبب يطول ببيانه الكلام، وكانت الأوامر والنواهي المتعلقان بأفعال المكلفين غير محصورة لكثرتها، لتجدد الحوادث والوقائع ما دام التكليف باقياً، وجب في الحكمة أن يكون لها حافظ عن التغيير والتبديل والتلف؛ بسهو أو نسيان، أو جهل، أو موت، أو غير ذلك، ومن كان كذلك وجب أن يعتبر فيه ما يعتبر في الترجمان من الحفظ والفهم، وقوة الباطن في التحمل والتلقي عنه، لأنه يأخذ عنه بالجهة التي أخذ بها الترجمان عن الله تعالى، وقوة الظاهر في الأداء والعصمة للأمن من الخطأ، والإخلال بالواجب، كما ذكر في الترجمان، وذلك لأن الترجمان لما وجب عليه أن

يلقيها إلى الحافظ لئلا يضيّع من في الأصلاب والأرحام، ويرتفع التكليف، وكانت لا تنحصر بالعد، ولا يضبطها حد، وجب عليه أن يلقيها أصولاً وقواعداً كما ألقيت إليه، كذلك في جوامع الكلم إلى الحافظ، وقد فعل .

ولهذا قال الحافظ لما سُئلَ عما أوعز إليه حين ناجاه طويلاً، قال : (علمني رسول الله ألف باب من العلم فنفتح لي من كل باب ألف باب)[1] وكذلك ما اشتمل عليه الخبر، والجفر[2]، والجامعة[3]، والغابر[4]، والمزبور[5]، ومصحف فاطمة عليها السلام[6]، ونور ليلة القدر، وعمود النور،

---

(١) كشف الغمة، ج١، ص١٤٤ . الاختصاص، ص٢٨٣. أعلام الورى، ص١٣٦ . دلائل الإمامة، ص١٠٥، ذكر معجزاته عليه السلام . مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٣٦، فصل : في المسابقة في العلم .

(٢) الجفر على قسمين : أحدهما الجفر الأبيض؛ وهو الذي : (فيه سلاح رسول الله) . والثاني الجفر الأحمر؛ وهو : (وعاء فيه التوراة والانجيل، والزبور والكتب الأولى) . [مشارق أنوار اليقين، ص١٧١] .

(٣) الجامعة هي التي : (فيها جميع ما يحتاج الناس إليه، حتى أرش الخدش) . [مشارق أنوار اليقين، ص١٧١] .

(٤) المزبور هو الذي : (يكون فيه علم ما يكون) . [مشارق أنوار اليقين، ص١٧١] .

(٥) الغابر هو الذي فيه : (علم ما كان) . [مشارق أنوار اليقين، ص١٧١] .

(٦) مصحف فاطمة عليها السلام هو الذي : (فيه ما يكون من الحوادث، واسم من يملك إلى يوم القيامة) . [مشارق أنوار اليقين، ص١٧١] .

والاسم الأكبر، والرجم، وغير ذلك مما كتبه عنه بإملائه، وكلها أصول وضوابط تنطبق على أفراد من المسائل لا تكاد تتناهى .

وإخراجها من أكمام غيب الضوابط، والكليات على طبق الواقع، لا يمكن إلّا بتلك القوة الإلهية مع العصمة، وتسديد الملك المحدث، وإلّا جاز عليه التغيير والتبديل، فلا يكون حافظاً، ولا يجب الأخذ عنه كما مر في الترجمان حرفاً بحرف، لأن تفصيل تلك الجمل على طبق مراد الله الذي هو حكم الله في نفس الأمر، ليس في وسع البشر ليستغني عن الكشف الرباني الملابس للعصمة .

وهكذا حكم كل مستحفظ بعد مستحفظ، وهذه سنة الله التي قد خلت في عباده فلن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً[1]، وفي أخبارنا ذلك، وفي أخبارهم .

فمنه مـــا رواه أبو ليث الواقدي، عن النبي صلى الله عليه وآله في غزوة أوطـــاس، قال صلى الله عليه وآله : (لتركبن سنن من كان قبلكم حـــذو النعل بالنعل، حتى لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكم ...إلخ)[2] .

---

(١) قال الله تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾. [سورة الفتح، الآية : ٢٣] .

(٢) تفسير العياشي، ج١، ص٣٣٢، ح٦٨، سورة المائدة، آية : ٢١ . الإفصاح، ص٥٠ . شرح نهج البلاغة، ج٩، ص٢٨٦، خطبة : ١٦٧ . بحـــار الأنوار، ج١٣، ص١٨٠، ح١٠، باب : ٦ .

وكانت الأنبياء مع أوصيائهم على هذه السنن منذ أهبط الله آدم عليه السلام إلى زمان نبينا صلى الله عليه وآله، حتى أمره الله أن يخبر عن نفسه بجريه على تلك الألسن فقال : ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ﴾[1] فكانت الحجة لله على عباده قائمة من العقول والرسل قبل الخلق ومع الخلق، وبعد الخلق إذ في كل وقت لا يخلو العالم من غوث هو محل نظر الله من العالم، وهو المستحفظ المشار إليه .

وأما في هذا الزمان فإنا إنما لم نشترط العصمة في كل واحد من العلماء الذين هم وسائط بين الرعية والراعين، كما أشار إليه تعالى بتأويل قوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً﴾[2] والقرى الظاهرة هم العلماء على أحد التأويلين[3]، لأنهم لا يراد منهم التلقي عن

---

(١) سورة الأحقاف، الآية : ٩ .

(٢) سورة سبأ، الآية : ١٨ .

(٣) عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : دخل الحسن البصري على محمد بن علي عليه السلام، فقال له : (يا أخا أهل البصرة بلغني أنك فسرت آية من كتاب الله على غير ما أنزلت، فإن كنت فعلت فقد هلكت واستهلكت؟ .

قال : وما هي جعلت فداك؟ .

قال : قول الله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها قُرىً ظاهِرَةً وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ﴾ . ويحك كيف يجعل الله لقوم أماناً ومتاعهم يسرق بمكة والمدينة وما بينهما، وربما أخذ عبد أو

⇦

الله، وتفصيل المجمل على طبق مراد الله في نفس الأمر، كما في الترجمان والحافظ .

وإنما يراد منهم نقل ما فصل لهم، وحمل ما وصل إليهم، وإن كانوا يستنبطون الأحكام من كلام الترجمان، والحافظ المنقول إليهم بالنقل المعتبر، لأنَّ أفهامهم تدور مدار مرادهما، وتحوم حول كلامهما، لتحصيل ما قصداه، فأفهامهم محبوسة على ما هو مرادهما بحسب ما يفهمون، لم يطلبوا غير ما أرادا بكل ما يقدرون عليه ليتبعوهما في هذا لهما، قد قصروا نظرهم في اتباعهما، فأغنى وجود العصمة في المتبوع والأصل عن وجودها في التابع والفرع، فإنَّ ذلك إذا كان محفوظاً مفصلاً عند المتبوع لا يضر تجويز خطأ التابع، لأنه إذا أخطأ واحد منهم لم يخطئ غيره، فلم يخرج عن مستقره .

⇦ قتل ... [إلى أن قال عليه السلام] ... فمن العاتي على الله عز وجل الحيطان أم البيوت، أم الرجال؟ .

فقال : الرجال .

ثم قال : جعلت فداك زدني .

قال قوله : في سورة يوسف ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها﴾ لمن أمروه أن يسأل القرية والعير، أم الرجال .

فقال : جعلت فداك فأخبرني عن القرى الظاهرة؟ .

قال : هم شيعتنا، يعني العلماء منهم) . [تأويل الآيات الظاهرة، ج٢، ص٤٧٢، ح٢، سورة سبأ، آية : ١٨ . بحار الأنوار، ج٢٤، ص٢٣٥، ح٤، باب : ٥٩ . تفسير البرهان، ج٦، ص٣٣٣، ح٨، سورة سبأ، آية : ١٨] .

نعم يشترط حصول أثرها، أعني إصابة الواقع في المجموع؛ وهو قطعي الحصول، لأنهم قد حصروا بعقولهم جميع ما يحتمله كلامهما على ما ضبطاه لهم من الأصول، فلم يخرج مرادهما عن أقوالهم، وقد نص الترجمان على هذا بقوله : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة)[1]، كما يشترط حصولها أي العصمة في المستحفظ لاتحاده .

والأصل في ذلك، أعني الاكتفاء بالتكليف المنقول المفصل من دون اعتبار العصمة في هذا الحامل، أنّه وإن كان مفصلاً ومفرعاً، إلّا أنّه طالب لمراد المستحفظ من الجهة الجامعة بينهما، وهي الجهة البشرية التي قلنا أنها جهة المجانسة والمؤانسة، لأنهم يعرفون أحكامها، فإنّ شرط قبول التكليف بما لا يعرفون وجود العصمة ليلتزموا بأحكامها .

فلأجل ما قررنا اشترطنا وجود العصمة في التلقي من جهة الوحي، لئلا يجوز عليه تلـــقي ما لا يفهم وما لا يجوز ومـــا لا يراد منه، وفي الأداء والتبليغ لئلا يجوز عليه تبليغ ما لا يراد منه من تفصيل تلك الجمل، إذ لا يعرف تفصيلها غيره، فيريد غير المراد .

ولو كنا نعرف تفصيلها لم نشترط فيه لها العصمة لأنا نقومه إذا اعوج، ونسدده إذا زاغ، ولم نشترط ذلك في تلقي ما فصله الحافظ، لما قلنا من أنا نعرف أحكام جهتنا، وهو إنما فصلها لنا على ما نفهم، ولأنه

---

(١) عوالي الآلي، ج٤، ص٦٢، ح١٣ .

مسدد لنا كما قال الصادق عليه السلام : (إن الأرض لا تخلو من حجة)[1]، كما أن زاد المؤمنون ردهم، وإن نقصوا أتمه لهم، هذا مع حفظه أصله، على أنَّ الدليل القاطع قد قام على وجود المستحفظ في هذا الزمان، لما قلنا أنَّ العالم لا يجوز أن يخلو عن قطب وغوث، هو محل نظر الله من العالم، والأخبار المتواترة تعني بذلك، وإن كان مستتراً بعينه، فإنَّ نور وجوده في قلوب شيعته .

ولقد ورد في الأثر المعتبر : (أنهم ينتفعون في غيبته بوجوده، كما ينتفع الناس بضوء الشمس إذا غيّبها السحاب)[2]، يعني : أنه في غيبته

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٧٩، ح٩، باب : أن الأرض لا تخلو من حجة . كمال الدين، ج١، ص٢١٤، ح١٠، باب : ١٢ . بحار الأنوار، ج٢٣، ص٣٨، ح٦٧، باب : ١ .

(٢) عن إسحاق بن يعقوب، قال : سألت محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً، سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام : (أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا، و بني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح عليه السلام، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام، ... [إلى أن قال عليه السلام] ... وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها السحاب عن الأبصار، وإني لأمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء،

⇦

كالشمس إذا غيبها السحاب، فإنَّ النهار موجود لوجود ضيائها، ولو لم تكن موجودة لم يوجد ضياء النهار عادة، فعلى هذا لم يستغن عن العصمة، إما بعينها وضيائها كما في الترجمان والمستحفظ، وإما بضيائها كما في العلماء الآخذين عنه، ولو فقدت أصلاً فقد الإدراك المجزي لعدم النور أصلاً : ﴿وَمَن لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[1] .

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين، والحمد لله رب العالمين، هذا آخر ما حضر إثباته من كتابة المسألة الأولى، مما أمرنا بكتابته جناب الحضرة العالية الجناب خلد الله سلطانه، وأنار برهانه، وأعلى قدره وشأنه، ورفع مكانته ومكانه، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين .

⇦ فاغلقوا باب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تكلفوا علم ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى) . [كشف الغمة، ج٢، ص١٠٢٤، فصل : ٣ في ذكر التوقيعات الواردة منه عليه السلام] .

(١) سورة النور، الآية : ٤٠ .

فهرس الآيات الكريمة

متن الآية المباركة	آيتها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾	١٢٤	٥٧-٧٨-١١٨ ١٤٣-١٤٥
﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾	١٢٤	٥٧
﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾	١٢٤	٥٨
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى ...﴾	١٣٦	١٣٣
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٧٧
﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	٦٩
﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ ...﴾	٢٦٨	٧٧
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾	٢٨١	١٢٩
سورة آل عمران		
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ ...﴾	٧	١٠٧
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ...﴾	٣٣	٩٤
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ ...﴾	٥٩	١١٤
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾	١٠٣	٢٣
﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾	١٢٢	١٢٣
﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٩١	١١٢
سورة النساء		
﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ﴾	٢٥	٥٧

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ ...﴾	١١٩	١٠
﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ﴾	١٦٥	١٠
سورة الأنعام		
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا ...﴾	٩	١٤٩-١٥٩
﴿هَذَا رَبِّي﴾	٧٧	١٠٩-١٠٦
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾	٨٣	١١٠
﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾	١٠١	١١٥-١١١
﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	١٢٤	٣١-١٤٢
		١٤٥-١٥١
سورة المائدة		
﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾	١١	١٢٣
﴿وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾	٦٧	٢٣
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ...﴾	١١٠	١١٦
سورة الأعراف		
﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذه الشَّجَرَةَ﴾	١٩	٩٨
﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذه الشَّجَرَةِ﴾	٢٠	٩٧-١٠٢
﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾	٢٢	٩٧
﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً ...﴾	١٤٥	٤٩
﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	١٥٨	٥٥-٧٨
﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦٠	١٠
﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ...﴾	١٩٠	٩٧
سورة الأنفال		
﴿إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	٩٤

سورة التوبة		
﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ ...﴾	٣٣	٤٣
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾	٤٣	٩٠-٩٢
سورة يونس		
﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا ...﴾	٣٥	٥٩
سورة يوسف		
﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾	٢٤	٧-١٢٤-١٢٧
﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾	٢٦	١٢٦
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ...﴾	٢٦	١٢٢
﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾	٢٨	١٢٦
﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا ...﴾	٣٠	١٢٦
﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾	٣٢	١٢٦
﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	٣٣	١٢٦
﴿حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾	٥١	١٢٦
﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾	٥٨	١٢٦
﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ ...﴾	٧٦	١٣٢
﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾	٨٢	٩٨
سورة الرعد		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١	٤٦
﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾	٣٩	١١٧
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	١٥٩
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ...﴾	١١	١٥٠

سورة الحجر

﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ ...﴾	٣٩-٤٠	١٢٧
﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾	٦٥	٥٠-٥١

سورة النحل

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ....﴾	١٢٥	٦١

سورة الإسراء

﴿إِن هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾	٩	٢٤
﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾	٣٢	١٢٨
﴿وَلَوْ لَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ...﴾	٧٤	١٤٨-١٥١ ١٥٣-١٥٤
﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾	٧٥	١٥٤-١٥٥

سورة الكهف

﴿لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ ...﴾	١٨	٥١
﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ ...﴾	٢٩	٨٠
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ ...﴾	٦٠	٤٩
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾	١١٠	٨١-٨٤-١٤٨

سورة طه

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	٤١	٥٤
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	١١٤	٣٦
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾	١١٥	٩٧-١٠١ ١٠٢-١٠٣
﴿وَعَصَى آدَمُ﴾	١٢١	٧-٦٨ ٩٣-٩٦
﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾	١٢٢	٩٧-٩٥

سورة الأنبياء		
﴿لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾	٢٧	١٥٣
﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾	٦٣	١١٠
﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾	٦٤	١١١
سورة الحج		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا ...﴾	٨-٩	٦١
سورة المؤمنون		
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا ...﴾	١١٥	٧٧
سورة النور		
﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾	٤	٦٥
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ...﴾	٣٩	٨٦
﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ﴾	٣٥	١٤٢
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	١٦٧
سورة الشعراء		
﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾	٨٤	١٣٠
سورة القصص		
﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ ...﴾	٢٣	١٣٥
سورة الأحزاب		
﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٨
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ...﴾	٣٠	٥٧
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي...﴾	٥٧	٥٦
سورة سبأ		
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ...﴾	١٨	١٦٣
سورة فاطر		
﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾	١	٤١

سورة الصافات		
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۞ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾	٨٨-٨٩	١١٢-١١٥
﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾	٨٩	١١٩
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٠	١٥٩
سورة ص		
﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً...﴾	٥-٦-٧	٩٠-٩١
﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا ...﴾	٢٢-٢٣	١٣٧
﴿فظن داود إنما فتناه فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا ...﴾	٢٤-٢٥	٧-٤٨-١٣٨
﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾	٢٦	١٣٨-١٣٩
﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ ...﴾	٢٦	١٣٣-١٣٥
سورة الزمر		
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾	٣١	١١٦
﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	١٥٤
سورة الشورى		
﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ...﴾	٢٧	١٥١
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ ...﴾	٣٠	٧٣
سورة الدخان		
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	٣٨	٧٧
سورة الأحقاف		
﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾	٩	١٦٣
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ ...﴾	١-٢	٧-٨٩-٩١
﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	٢	٩٢
﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ ...﴾	٢٣	١٦٢

سورة الحجرات		
﴿إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾	٦	٥٦
سورة النجم		
﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ ...﴾	٣-٤	٧٨
﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا ...﴾	٣٢	٦٣
سورة الحديد		
﴿مَآ أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي ...﴾	٢٢	٧٣
سورة المجادلة		
﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْساهُمْ ذِكْرَ اللَّه ...﴾	١٩	٥٦
﴿أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ ...﴾	٢٢	٥٦
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾	٧	٥٥-٧٨
سورة المنافقون		
﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّه﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾	١	١٢٠
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾	١	١٢٠
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٤٨
سورة الحاقة		
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا ...﴾	٤٤-٤٥	٧٦
سورة الإنسان		
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٣٠	٢٩-٣٠
سورة الانفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾	١٠-١١	١٢٨

فهرس الأحاديث الشريفة

متن الحديث	القائل	الصفحة
أخذ الله الميثـــاق على النبيين وقـــال ألست ...	الباقر عليه السلام	١٠٠
إذ كل مننك ابتداء	السجاد عليه السلام	٤٧
أعطي يوسف شطر الحسن والنصف الثاني ...	الرسول صلى الله عليه وآله	١٢٢
أما المعاني فنحن معانيه وظاهره فيكم اخترعنا ...	السجاد عليه السلام	٤٣
أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر ...	المهدي عليه السلام	١٦٦
الإمـــام منّا لا يكـــون إلّا معصوماً وليست ...	السجاد عليه السلام	٢٤
إن الأرض لا تخلو من حجة	الصادق عليه السلام	١٦٦
إن الله خلق العقل فقال له أقبل فأقبل وقال له ...	الرسول صلى الله عليه وآله	٩
إن الله تبارك وتعالى جعل قلوب الأئمة عليهم السلام ...	الرضا عليه السلام	٣٠
إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته	الرضا عليه السلام	١٤٧
إن المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما ...	أحدهم عليهم السلام	٩١
إنّ هذا لا يعلمه إلّا نحن وأهل بيت في الهند	أحدهم عليهم السلام	١١٦
إن يونس وكله الله إلى نفسه طرفة عين	أحدهم عليهم السلام	٤٧
إنه اعلم أخاه بذلك ليجعله طريقاً إلى التمسك ...	أحدهم عليهم السلام	١٣٢
أنه عنى أني سقيم بما يفعل بالحسين بن علي ...	أحدهم عليهم السلام	١١٦
أنه لم يوجد اثنان إلّا و أحدهما حجة على الآخر ...	أحدهم عليهم السلام	٩٥
أنهم ينتفعون في غيبته بوجوده كما ينتفع الناس ...	أحدهم عليهم السلام	١٦٦
أنى ولكـــم القلوب التي تـــولى الله ريـــاضتها ...	أحدهم عليهم السلام	١٤٢
أي سأسقم وكـــل ميت سقيم وقد قال الله ...	أحدهم عليهم السلام	١١٥

إياك أعني واسمعي يا جارة	أحدهم عليه السلام	١٥٣-١٥٥
أيها الناس إني تارك فيكم حبلين إن أخذتم بهما ...	الرسول صلى الله عليه وآله	٢٣
استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم ...	الأمير عليه السلام	١٤٣
بالعدل قامت السماوات والأرض	أحدهم عليه السلام	٣٣
بالعدول قامت السماوات والأرض	أحدهم عليه السلام	٣٣
بل أعظم الفتوح	الرسول صلى الله عليه وآله	٩٢
تعرف أهـــل الغدر والذين جلسوا بغير عذر ...	الباقر عليه السلام	٨٨
الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق	أحدهم عليه السلام	٩٥
حسنات الأبرار سيئات المقربين	أحدهم عليه السلام	٩٣-١٠٥
سمعته يقول التائب من الذنب كمن لا ذنب ...	الباقر عليه السلام	٨٠
علمني رسول الله ألف باب من العلم فنفتح ...	أحدهم عليه السلام	١٦١
فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة ...	الرضا عليه السلام	٩٤
فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيـــدك ...	أحدهم عليه السلام	١٠٥
فجعلهم ألسن إرادته	الأمير عليه السلام	٢٩
فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً بخبر أصحاب ...	أحدهم عليه السلام	٤٨
فهو أهـــل ذلك بخاصته وخلته إذ لا يختص من ...	الأمير عليه السلام	٥٥-١٤٤
قال إبراهيم إن كـــانوا ينطقون فكبيرهم هو ...	الصادق عليه السلام	١١١
لا أوتى برجل يزعم أنّ داود عليه السلام تـــزوج ...	الأمير عليه السلام	١٣٩
لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم ...	أحدهم عليه السلام	١٦٥
لا يسبقكم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع ...	أحدهم عليه السلام	٣٠
لا يعبر على بابي سائل إلّا أطعمتموه فإنّ اليوم ...	السجاد عليه السلام	١٢٢
لتركبن سنن من كان قبلكم حذوا النعل بالنعل ...	الرسول صلى الله عليه وآله	١٦٢
لقد همّت به، ولو لا أن رأى برهان ربه لهم ...	الرضا عليه السلام	١٢٤
لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهم بذنب ...	الرضا عليه السلام	١٢٥

لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً ...	الرضا عليه السلام	٩٠-٩١
لما امتنع إبليس من السجود لآدم وطرد من ...	أحدهم عليهم السلام	١٠٣
لّما كان يوم الفتح أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله أصناماً ...	الصادق عليه السلام	١٥٢
لنا مع الله حالات نحن فيها هو وهو نحن وهو ...	الصادق عليه السلام	١٠٥
اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً	أحدهم عليهم السلام	١٥٤
لو لا أنكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله ...	الرسول صلى الله عليه وآله	٤٨-٧٠
لو لم بقي في الأرض اثنان لكان أحدهما ...	الصادق عليه السلام	٩٣
ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب إنما عنى ...	الصادق عليه السلام	١١٩
ما كان له ذنب ولا همّ بذنب ولكن الله حَمَلَهُ ...	الصادق عليه السلام	٨٩
مجاهدتك في الله ذات مشيئة الله ومقارعتك في ...	الباقر عليه السلام	٣٠
المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله ...	الصادق عليه السلام	٢٤
من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه ...	أحدهم عليهم السلام	١٤٠
منتك ابتداء، وعفوك تفضل	السجاد عليه السلام	٤٧
نحن محال مشيئة الله	أحدهم عليهم السلام	٣٠
هذا من لطيف المعاتبة بدؤه بالعفو قبل العتاب ...	أحدهم عليهم السلام	٨٨
هذا غلامنا آبق منا فاشتروه وسكت يوسف ...	أحدهم عليهم السلام	١٢٢
هذا مما نزل بإياك أعني واسمعي يا جارة خاطب ...	الرضا عليه السلام	٨٨
هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلّا به	الرسول صلى الله عليه وآله	٩٨
هل كان ولد يعقوب أنبياء قال لا ولكنهم ...	الباقر عليه السلام	١٣٣
همّت بأن تفعل وهمَّ بأن لا يفعل	الصادق عليه السلام	١٢٥
همّت بأن تفعل، وهم بأن يضربها	الصادق عليه السلام	١٢٥
وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله استخلصه في ...	الأمير عليه السلام	٣١
وأما المعاني فنحن معانيه وظاهره فيكم اخترعنا ...	السجاد عليه السلام	٤٣
وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه فقال ...	الرضا عليه السلام	١٣٦

وإنما يعجل من يخاف الفوات وإنما يحتاج إلى ...	أحدهم عليه السلام	١٥٠
والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمن ...	الصادق عليه السلام	٨٩
وَرُسُلكَ مِنَ الْمَلَائكَةِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَكْرُوهِ ...	السجاد عليه السلام	٤١
وَظَنَ دَاوُدُ يعني عَلِم وَأَنَابَ أي تاب وذكر ...	الباقر عليه السلام	١٣٨
وَعَلَى الْمَلَائكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكَّانِ ...	السجاد عليه السلام	٤١
ومنها المعرفة بِقِدَمِ بارئه وتوحيده وتنـــزيهه ...	الصادق عليه السلام	١١٨
وهمّت بأن تفعل وهم بأن يضربها	أحدهم عليه السلام	١٢١
يا أخا أهل البصرة بلغني أنك فسرت آية من ...	الصادق عليه السلام	١٦٣

فهرس المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم .

١- إجازات الشيخ الأحسائي قدس سره، للدكتور حسين محفوظ، النجف الأشرف : (١٣٩٠هـ) .

٢- إقبال الأعمال الحسنة؛ للسيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفى عام : (٦٦٤هـ)، دار الكتب الإسلامية- طهران، الطبعة الثانية : (١٣٦٧هـ) .

٣- أصول الكافي؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : (٣٢٩هـ)، دار الأضواء- بيروت لبنان : (١٤٠٥هـ) .

٤- أمالي الصدوق؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام :(٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت لبنان، الطبعة الخامسة- (١٤٠٠هـ) .

٥- الاختصاص؛ لمحمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : (٤١٣هـ) المعروف (بالشيخ المفيد)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت لبنان : (١٤٠٢ هـ) .

٦- الاحتجاج؛ لأبي منصور، أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى - مشهد : (١٤٠٣ هـ) .

٧- إعلام الورى؛ لأمين الإسلام الطبرسي، دار الكتب الإسلامية — طهران . (ب-ت-ط) .

٨- الإفصاح في الإمامة؛ للشيخ المفيد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد — قم المقدسة : (١٤١٣ هـ) .

٩- الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية؛ للشيخ ياسين عيسى العاملي، مؤسسة البلاغة- بيروت لبنان، الطبعة الأولى : (١٤١٣هـ) .
١٠- البلد الأمين؛ للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، المتوفى عام : (٩٠٥ هـ) . (ب-ت-ط) .
١١- بحار الأنوار؛ للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى عام : (١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت لبنان، الطبعة الثالثة- (١٤٠٣ هـ) .
١٢- بصائر الدرجات، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار؛ المتوفى عام : (٢٩٠هـ)، مؤسسة النعمان- بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤١٢هـ) .
١٣- تفسير البرهان؛ للعلامة المحدث السيد هاشم البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: (١٤١٩هـ)،
١٤- تفسير العيّاشي، للمحدِّث الجليل أبي النَّصر محمد بن عيَّاش، المتوفى عام : (٣٢٠هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت لبنان، الطبعة الأولى : (١٤١١هـ) .
١٥- تفسير الصافي؛ للملا محسن الملقب (بالفيض الكاشاني)، المتوفى عام : (١٠٩١هـ)، مؤسسة الهادي- قم المقدسة، الطبعة الثانية .
١٦- تفسير القمِّي؛ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت لبنان، الطبعة الأولى : (١٤١٢ هـ) .
١٧- تأويل الآيات الظاهرة؛ للسيد شرف الدين الحسيني الإستربادي، الناشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، الطبعة الأولى : (١٤٠٧هـ) .
١٨- تفسير جوامع الجامع؛ للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى عام : (٥٠٢هـ)، طهران إيران : (١٤١٢هـ) .
١٩- تفسير مجمع البيان؛ لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى عام : (٥٠٢ هـ)، دار المعرفة -بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤٠٨هـ) .

٢٠- تفسير نور الثقلين؛ للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى عام : (١١١٢هـ)، المطبعة العلمية -قم المقدسة، الطبعة الثانية . (ب-ت-ط) .

٢١- تفسير كنز الدقائق؛ للشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، من مشاهير القرن (الثاني عشر)، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي -طهران إيران، الطبعة الأولى : (١٣٦٦ش) .

٢٢- تفسير مقتنيات الدرر؛ لمير سيد علي الحائري الطهراني، طهران إيران، الناشر دار الكتب الإسلامية : (١٣٣٧ش) .

٢٣- تفسير التبيان؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المتوفى عام : (٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر مكتب الإعلام الإسلامي -قم المقدسة، الطبعة الأولى : (١٤٠٩هـ) .

٢٤- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ لجار الله محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي الزمخشري، المتوفى عام : (٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان، (ب-ت-ط) .

٢٥- تاريخ الفرق الإسلامية، للعلامة الشيخ محمد خليل الزين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤٠٥هـ) .

٢٦- تنزيه الأنبياء؛ لأبي القاسم علي بن الحسين المسوي، (المشهور بالشريف الرضي) المتوفى عام : (٤٣٦هـ)، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : (١٣٧٦هـ) .

٢٧- التوحيد؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام : (٣٨١هـ)، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي- قم المقدسة : (١٣٩٨هـ) .

٢٨- جمال الأسبوع؛ للسيد علي بن طاووس الحلي، دار الرضي للنشر -قم المقدسة . (ب-ت-ط) .

٢٩- دلائل الإمامة؛ لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، المتوفى عـــام : (٣٥٨هـــ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –بيـــروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤٠٨هـــ) .

٣٠- الذريعة إلى تصانيف الشيعة؛ للآغا بزرك الطهراني، دار الأضواء – بيروت لبنان- الطبعة الثانية . (ب-ت-ط) .

٣١- روضات الجنات؛ للشيخ محمد باقر الخنساري، طهران إيران : (١٣٠٦هـــ) .

٣٢- روضة الواعظين؛ لمحمد بن الحسن الفتال، المتوفى عام : (٥٠٨هـــ)، الناشر دار الرضي- قم المقدسة . (ب-ت-ط) .

٣٣- سير الشيخ أحمد الأحسائي تغمده، للشيخ أحمد بن زين الـــدين الأحسائي تغمده، المتوفى عام : (١٢٤١هـــ) . (مخطوط) .

٣٤- سعد السعود؛ للسيد علي بن طاووس، منشورات الرضي- قـــم المقدسة : (١٣٦٣هـــ) .

٣٥- شرح الفوائـــد؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تغمده، المتوفى عـــام : (١٢٤١هـــ) . (مخطوط) .

٣٦- شرح نهج البلاغة؛ لعز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، المتوفى عام : (٦٥٦هـــ)، الناشر مكتبة آية الله المرعشي- قم المقدسة : (١٤٠٤هـــ) .

٣٧- الصحيفة السجادية؛ للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، المتوفى عـــام : (٩٥هـــ)، دار البلاغة– بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤٢١هـــ) .

٣٨- الصراط المستقيم؛ لعلي بن يونس النباطي البياضي، المكتبة الحيدرية – النجف الأشرف : (١٣٨٤ هـــ) .

٣٩- علل الشرائع؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام : (٣٨١هـــ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت لبنان، الطبعة الأولى: (١٤٠٨هـــ) .

٤٠- عيون أخبـــار الرضـــا عليه السلام؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام : (٣٨١هـــ)، منشورات الشريـــف الرضي –قـــم المقـــدسة، الطبعة الأولـــى : (١٣٧٨هـــ) .

٤١- عوالي اللآلي، لابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفى في : (القرن العاشر)، دار سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة : (١٤٠٥هـــ) .

٤٢- غيبة النعماني، للشيخ محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب، المعروف بابن أبي زينب النعماني، المتوفى حدود عام : (٣٦٠هـــ ش)، منشورات أنوار الهدى- قم المقدسة، الطبعة الأولى : (١٤٢٢هـــ) .

٤٣- فهرست تصـــانيف كتب الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره، للشيخ أبي القاسم الإبراهيمي، كرمان : (١٣٦٧هـــ)

٤٤- الفوائد الروضوية؛ للشيخ عباس القمي، طهران : (١٣٦٧هـــ) .

٤٥- فقه القرآن؛ لقطب الدين الراوندي، المتوفى عام : (٥٧٣هـــ)، الناشر مكتبة آية الله المرعشي- قم المقدسة : (١٤٠٥هـــ) .

٤٦- قصص الأنبياء عليهم السلام؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : (١١١٢ هـــ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤٢٣ هـــ) .

٤٧- كشف الغمة في معرفة الأئمة؛ لعلي بن عيسى الإربلي، المتوفى عام : (٦٩٢هـــ)، منشورات الشريف الرضي –قم المقدسة؛ الطبعة الأولى : (١٤٢١هـــ) .

٤٨- كمال الدين وتمام النعمة؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام : (٣٨١هـــ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت لبنان، الطبعة الأولى المحققة : (١٤١٢هـــ) .

٤٩- الكنى والألقاب؛ للمحقق الشهير الشيخ عباس القمي، منشورات مكتبة الصدر –طهران إيران : (١٣٦٨هـــ) .

٥٠- الكامل في التاريخ؛ لعلي بن محمد الشيباني، (المعروف بابن الأثير)، المتوفى عام : (٦٣٠هـــ) دار صادر- بيروت لبنان : (١٤٠٢هـــ) .

٥١- لسان العرب، للعلامة ابن منظور، نشر أدب الحوزة- قم المقدسة : (١٤٠٥هـ) .
٥٢- معجم الكلام؛ لآية الله السيد محمد الحسيني الميلاني، الناشر تابان إيران - الطبعة الأولى : (١٤١٧هـ) .
٥٣- معجم الفرق الإسلامية؛ للسيد يحي شريف الأمين، دار الأضواء- بيروت لبنان، الطبعة الأولى : (١٤٠٦هـ) .
٥٤- مصباح الكفعمي؛ لإبراهيم بن علي الكفعمي، دار الرضي (الزاهدي) — قم المقدسة : (١٤٠٥هـ) .
٥٥- مصباح المتهجد؛ للشيخ الطُّوسي، مؤسسة فقه الشِّيعة — بيروت لبنان : (١٤١١هـ) .
٥٦- مستدرك الوسائل؛ للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام : (١٣٢٠ أو ١٣٣٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٤٠٨ هـ) .
٥٧- المعجم الوسيط؛ لمجموعة من الأساتذة، دار الدعوة —استنبول تركيا : (١٤١٠هـ ١٩٨٩م) .
٥٨- متشابه القرآن؛ للشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، المتوفى عام : (٥٨٨ هـ)، دار بيدار للنشر : (١٣٦٩هـ) .
٥٩- معاني الأخبار؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام : (٣٨١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات — بيروت لبنان، الطبعة الأولى : (١٤١٠ هـ) .
٦٠- المواقف في علم الكلام؛ لعضد الدين القاضي الأيجي . (ب-ت-ط) .
٦١- من لا يحضره الفقيه، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المشهور بالصدوق)، المتوفى عام : (٣٨١هـ)، دار الأضواء — بيروت لبنان، الطبعة الأولى : (١٤٠٦هـ) .

٦٢- المنجد في اللغة؛ دار المشرق -بيروت لبنان، الطبعة الثالثة والثلاثون : (١٩٩٤م) .

٦٣- مراقد المعارف؛ للمؤرخ الكبير الشيخ محمد حرز الدين، المتوفى عام : (١٣٦٥هـ)، منشورات سعيد بن جبير -قم المقدسة، الطبعة الثانية : (١٣٨٠هـ) .

٦٤- مجموعة ورّام؛ لورّام بن أبي فراس، المتوفى عام : (٦٠٥هـ)، الناشر مكتبة الفقيه- قم المقدسة . (ب-ت-ط) .

٦٥- مشارق أنوار اليقين، للحافظ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي، تحقيق السيد جمال المازندراني، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى : (١٤٢٢هـ) .

٦٦- الملل والنحل؛ لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، المتوفى عام : (٥٤٨هـ)، دار مكتبة المتنبي -بيروت لبنان، الطبعة الثانية : (١٩٩٢م) .

٦٧- نهج الحق وكشف الصدق؛ للإمام الحسن بن يوسف المطهر الحلي، المتوفى عام : (٧٢٦هـ)، الناشر مؤسسة الهجرة -قم المقدسة : (١٤٠٧هـ) .

٦٨- وسائل الشيعة؛ للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى عام : (١١٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : (١٤٠٣هـ) .

إصدارات :

١) **أسرار الشهادة** (سرُّ الحقيقة في واقعة الطفوف) .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي تدثُّل .

تحقيق : راضي ناصر السلمان .

القياس : ١٧ × ٢٤ . **سنة الطباعة** : ١٤٢١هـ .

٢) رؤى حول **الأسرار الحسينية** في مدرسة الشيخ الأحسائي تدثُّل .

تأليف : الشيخ الأوحد الأحسائي تدثُّل، والسيد كاظم الرشتي تدثُّل .

جمع وإعداد وتحقيق : راضي السلمان .

القياس : ١٧ × ٢٤ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٢هـ .

٣) **كشف الحق** (في مسائل المعراج) .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي تدثُّل .

تحقيق : أمير عسكري . **إعداد وتقديم** : راضي السلمان .

القياس : ١٧ × ٢٤ . **سنة الطباعة** : ١٤٢١هـ .

٤) **نظرة فيلسوف** (في سيرة الأحسائي والرشتي) .

تأليف : الفيلسوف الفرنسي الدكتور هنري كوربان .

ترجمة : خليل زامل . **إعداد وتقديم** : راضي السلمان .

القياس : ١٤ × ٢٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

٥) **السلوك إلى الله** ﷻ .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي تدثُّل .

تحقيق : صالح أحمد الدباب .

القياس : ١٤ × ٢٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

٦) **شرح دعاء السِّمات** (ويليه شرح حديث القدر) .
تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .
تحقيق وتعليق : راضي ناصر السلمان .
القياس : ١٤ × ٢٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

٧) **مسائل حكمية** .
تأليف : الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .
تحقيق : صالح أحمد الدباب .
القياس : ١٢ × ١٧ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

٨) **أسرار أسماء المعصومين عليهم السلام** .
تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .
تحقيق : صالح أحمد الدباب .
القياس : ١٢ × ١٧ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

٩) **صفحات مشرقة من حياة الإمام المصلح** قدس سره .
تأليف : المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي (دام ظله) .
إعداد : راضي ناصر السلمان .
القياس : ٩ × ١٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

١٠) **أوراد وأذكار الإمام المصلح** قدس سره ، (مطوية) .
إعداد : مؤسسة فكر الأوحد قدس سره .
القياس : ٩ × ١٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٣هـ .

١١) **عبقات من فضائل أهل البيت عليهم السلام** ، (قصيدة شعرية) .
من نظم : الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .
إعداد وتعليق : راضي ناصر السلمان .
القياس : ١٤ × ٢٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٤هـ .

١٢) **توضيح الواضحات**، (ردود على اعتراضات البرقعي) .
تأليف : المولى الميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي (دام ظله) .
ترجمة : محمد على داعي الحف . **تحقيق وتعليق** : راضي ناصر السلمان .
القياس : ١٤ × ٢٢ . **سنة الطباعة** : ١٤٢٤هـ .

فهرس المواضيع العامة

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
تقريظ سماحة آية الله العظمى خادم الشريعة الغراء المولى مـــيرزا عبد الرسول الحـــائري الإحقـــاقي دام ظله العالي	٦
كلمة الناشر	٧
مقدمة التحقيق	٩
صورة المخطوطة	١٣
حياة المصنف تغمّده	١٥
تمهيد	٢١
مقدمة المصنف تغمّده	٢٣
تعريف العصمة لغة	٢٣
تعريف العصمة اصطلاحاً	٢٤
الفصل الأول	
العصمة واللياقة المناسبة لها	٢٩

الفصل الثاني

العصمة مجمع الكمالات ٣٣

صفات العصمة ٣٤

لوازم العصمة ٣٥

الفصل الثالث

اختلاف الجمهور في متعلق العصمة ٣٧

الفصل الرابع

المعصومون ومؤهلاتهم ٤١

الفصل الخامس

المعصومون وسبب عتاب الباري لهم ٤٥

الفصل السادس

اختلاف الأقوال في متعلق العصمة ٥٣

الفصل السابع

اتفاق الجمهور على عصمة الأنبياء عليهم السلام ٦٣

الفصل الثامن

قول الإمامية في عصمة الأنبياء عليهم السلام ٦٧

الفصل التاسع

مناقشة قول الغزالي في العصمة ٧٥

الفصل العاشر

مناقشة من جوز وقوع المعاصي من الأنبياء عليهم السلام ٨١

الفصل الحادي عشر

الرد على أدلة من جوَّز وقوع المعاصي من الأنبياء عليهم السلام ٨٧
الدليل الأول ٨٧
الدليل الثاني ٨٩
الدليل الثالث ٩٣

الفصل الثاني عشر

تنـــزيه نبي الله إبراهيم عليه السلام من الذنب ١٠٩
الوجه الأول ١٠٩
الوجه الثاني ١١٠
الوجه الثالث ١١٢

الفصل الثالث عشر

تنـــزيه نبي الله يوسف عليه السلام من الذنب ١٢١
الوجه الرابع ١٢١
الوجه الخامس ١٢٣
الوجه السادس ١٣١
الوجه السابع ١٣٢

الفصل الرابع عشر

تنـــزيه نبي الله داود عليه السلام من الذنب ١٣٥
الوجه الثامن ١٣٥

الفصل الخامس عشر

قول المخالفين بوقوع المعاصي من الأنبياء عليهم السلام قبل البعثة ١٤١

الخاتمة

الإشكالات الواردة على الإمامة من بعض المخالفين ١٥٧
فهرس الآيات الكريمة ١٦٩
فهرس الأحاديث ١٧٦
فهرس المصادر والمراجع ١٨٠
إصدارات مؤسسة فكر الأوحد قدس ١٨٧
فهرس المواضيع العامة ١٨٩

في هذا الإصدار

تتزاحم الأسئلة في ذهن القارئ لبعض الآيات المباركة في القرآن الكريم؛ والتي يُفهم من ظاهرها نسبة بعض المعاصي والذنوب للأنبياء عليهم السلام .

فهل أنَّ أولائك الأنبياء العظام الذين اصطفاهم الله لهذه المهمة الخطيرة تقع منهم الذنوب والمعاصي، كما هو الحال عند سائر الناس ؟!.

وإذا كان كذلك، فكيف سيتَّخِذُهم الناس قدوة وأسوة، كما أمرهم تعالى بقوله : ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾؟!، بل قبل كل ذلك ما الذي يميز هؤلاء عن غيرهم من الناس ؟!، وما هو الفرق بينهم وبين غيرهم ممَّن ادعى النبوة كمسيلمة وسجاح وغيرهما ؟!، وفي نهاية المطاف؛ هل سيُصدِّق الناس أنبياءً من هذا الطِّراز ؟ .

تخبَّط الكثير من الأعلام وتفرَّقت آراء المذاهب الإسلامية إلى أقوال شتى في الإجابة على تلك التساؤلات، من خلال هذا الإصدار تُقدِّم مؤسسة فكر الأوحد تدريجياً أجوبة شافية عن كل ما يُثار من تساؤلات حول مقام العصمة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وسيحصل الباحث على الحقيقة الناصعة المستقاة من الينابيع الصافية، التي أمرنا الله الارتواء منها، بعد تتبعه لجميع تفصيلات هذا البحث العلمي المنهجي المميَّز .

مؤسسة فكر الأوحد للتحقيق والطباعة والنشر

E-Mail:MF_alawhad@hotmail.com